مبادرة

القراءة بالمجان

الكتاب: متلازمة الصفحة البيضاء
الكاتب: فتحي المزين
رقم الإيداع: 21291/ 2019
ISBN:978 -977 -800 -155 -6
تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

دار ليان للنشر والتوزيع
مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056
Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، وأي محاولة للطبع أو النشر بأي طريقة دون
موافقة كتابية يعرَّض صاحبها للمساءلة القانونية

فتحي المزين

متلازمة الورقة البيضاء

الخطوات الأولى نحو عالم القراءة والكتابة

لبان
للنشر والتوزيع

إلى أهل الشغف..

الباحثين عن البداية، عن معالم على الطريق..

أهدي هذا الكتاب.

«لا تجعل من نفسك في أثناء القراءة شريطًا من أشرطة الكاسيت يتلقى ولا حيلة له فيما يتلقاه، بل تمهل هنا وقف هناك واسأل وحاور ووافق واعترض، فالذي معك هو إنسان حي بفكره ووجدانه، وقد يكون إنسانًا أطول منك باعًا وأقدر منك على الغوص وراء الحقائق، لكنك لن تبلغ منه كل ما تريد إلا إذا وقفت منه موقف الأحياء من الأحياء إذ يلتقون في دروب الحياة ومسالكها.»

المفكر الكبير د. زكي نجيب محمود

هكذا كان يقرأ. د. زكي نجيب، وهكذا أتمنى أن تقرأ هذا الكتاب معي، تحاورني وتختلف معي وتمسك بالقلم وتسجل أهم النقاط وأهم ما طرح من نقاش، وتبادلني الرأي بما رأيته صوابًا وبما تراه خطأ في هذا الكتاب وبما تريد طرحه من تعليقات لتطوير الجزء الثاني من هذا الكتاب، أتمنى أن نتحاور ويستفيد بعضنا من بعض، وسوف تجد الإيميل الخاص بي للتواصل في نهاية الكتاب.

عزيزي القارئ، دعنا في البداية نتفق أن هذا الكتاب هو لأصحاب التجربة الأولى في الكتابة، لمحبي فكرة الكتابة، للقراء الراغبين في الدخول في مجال الكتابة. من المهم أن نتفق على ذلك قبل أن نشرع في هذه الرحلة الشيقة والممتعة.

دستورنا في هذه المسألة، أو الطريق الذي سوف نمشي فيه معًا بشكل واضح منذ البداية، أن هذا الكتاب يمثل إشارة نحو الطريق الصحيح وليس هو الطريق بعينه، نحن نحاول فقط أن نساعدك أن تأخذ الطريق الصحيح إلى حلمك في الكتابة بشكل عام بعد ذلك سيتوقف الأمر عليك، هل ستبدأ رحلتك في هذا الطريق وتواصل المسير في ذلك الدرب الذي أرشدناك إليه؟ الأمر يعود إليك أنت.

من هذا المنطلق، دعنا نعرف قصة صناعة هذا الكتاب، من أين أتت، لكي نفهم ماذا يريد الكاتب بشكل عام فنصاحبه في تلك الرحلة القادمة، أو نغلق الكتاب مبكرًا.

إن الواقع الثقافي يشغلني نتيجة أنني أعمل في مجال النشر منذ ست سنوات، بخلاف عملي في مجال الثقافة والقراءة والكتابة بجوار إصداري للعديد من الكتب في السابق، لكن ما دفعني دفعًا لكتابة هذا الكتاب بالتحديد هو عملي في مشروع ثقافي اسمه «المعتكف الكتابي»، حيث أحاضر في فعاليات المعتكف الكتابي بأكثر من محاضرة منوعة بشأن الكتابة والقراءة والنشر أيضًا، ومنظومة البدايات للكُتاب أصحاب التجارب الأولى، ودومًا كانت تشغلني لمعة العين والفرحة الطفولية لكل كاتب في بداية مشواره. وبشيء من التفصيل ألقي محاضرتين خاصتين بي: محاضرة «قعدة مع كتاب» ومحاضرة أخرى عن النشر وتفاصيل النشر. المحاضرة الأولى الخاصة بـ«قعدة مع كتاب» نتناول ونتحدث فيها عن عالم الكتابة والقراءة من خلال وجهة نظر العديد من الكتاب الكبار، فلدينا كتاب «اللغز وراء السطور» للعراب د. أحمد خالد توفيق والصادر عن دار الشروق، وكتاب «شغف القراءة» الصادر عن دار الرواق للصحفي إيهاب الملاح وهو كاتب وناقد مصري وباحث في التراث الثقافي، وكتاب «لماذا نقرأ» الصادر عن دار المعارف لنخبة من المفكرين، ونرشح لكم هذه الأعمال للاقتناء والاطلاع عليها. وأخيرًا انضم إلينا كتاب «الحكاية وما فيها» الصادر عن مؤسسة هنداوي للروائي المعروف محمد عبد النبي.

وجدت أن هذه المحاضرات تستغرق ثلاث ساعات كاملة، آمل هنا أن أستطيع صياغتها بشيء من الانتقاء والتركيز لكم. أرى في هذه المصادر دستورًا وطريقًا خاصًّا شديد الوضوح للراغبين في الشروع بعملية التعلم والكتابة ككل، والراغبين في فهم منظومة الكتابة، أو الإجابة عن سؤال كيف أكون كاتبًا، وهل يمكن أن أكون كاتبًا، وكيف

أستطيع أن أكون كاتبًا، وهل يحتاج الإبداع إلى تنمية المهارات، وهل تكفي الموهبة وحدها، وكيف يراها كبار الكُتاب وصغارهم ككل؟ هذه البانوراما أستطيع أن أقدمها لك في هذا الكتاب. الأمر لن يكون مثل ما رأيته في هذه الكتب عبارة عن مقالات منفصلة مثل ما رأيت في كتاب «اللغز وراء السطور» أو «شغف القراءة»، أو مقالات وتمرينات مثل ما وجدت في كتاب «الحكاية وما فيها»، أو كتاب «لماذا نقرأ؟» به نخبة من كلمات كبار الكتاب: د. طه حسين وتوفيق الحكيم ويحيى حقي والعقاد والعشرات من الأسماء الكبيرة الأخرى، الأمر لن يكون هكذا.

هنا حلق بخيالك واستمع إلى صوتي، الأمر هنا سيكون عبارة عن محاضرة طويلة بعض الشيء، أعتقد أنها لن تأخذ من وقتك الكثير، وإن كنت أتمنى أن تقرأ بتمعن شديد وتصاحبك الورقة البيضاء والقلم، تسجل أهم النقاط التي سوف تهتدي بها في مشوارك فيما بعد وراقت لك في هذا الكتاب، وثق أنك سوف تحصل على الإفادة والبسمة معًا عند الانتهاء من هذا الكتاب، وهذا وعد منا بذلك.

«(المدرس هو الشخص الذي يواصل عملية تعلمه أمام الناس)، هذه العبارة التي قالها الشاعر الأمريكي «تيودور روثك» لا تفارق تفكيري. حتى أثناء ممارستي لمهنة التدريس في كلية الطب، لم أكف عن لعب دور الطالب الذي يتلقى التعليم أمام تلاميذ أصغر سنًّا، أحاول أن أرتب أفكاري وأعرف ما الذي أعرفه عن الموضوع بالضبط.»

د. أحمد خالد توفيق

أعتقد أن تلك الجملة العظيمة يجب أن تكون ألف باء طريقنا في هذا الكتاب، ومهما تقمصت دور المحاضر هنا أو الكاتب فثق تمامًا أني أتعلم منك عندما أكتب لك ما أعرفه، ونفس الحال عنك، فمهما كان مستواك الثقافي والفكري فثق أننا جميعًا ما زلنا نحاول أن نتعلم المزيد وأن من أهم الأخطاء الكبرى والشائعة هي جملة «أنا اعرف الكثير والكثير ولست في حاجة إلى المزيد.»

تلك جملة كارثية فاحترس منها، فهي بداية النهاية لك ولقلمك.

يقول العراب، «أتلقى دومًا السؤال من قرائي حول «**ماذا أفعل لأكون كاتبًا؟**» وهو سؤال بالغ الصعوبة والتعقيد ... **والحقيقة هي أنك إما تولد كاتبًا أو لا تولد.**»

هكذا يجيب العراب عن السؤال الشهير باختصار شديد في بداية كتابه «اللغز خلف السطور»: إما تولد كاتبًا أو لا. وقد يتساءل القارئ الكريم، هل معنى ذلك أن نغلق هذا الكتاب ونتخلص منه على الفور، فأنا لست بكاتب والمسألة محسومة إذًا؟

في البداية أريد أن أعرف منك، من قال لك إنك كاتب أو لست بكاتب، وهل أنت موهوب أو موهوم؟ وكيف تعرف إن لم تسعَ إلى معرفة ذلك، إن لم تسعَ إلى تنمية مهاراتك، إلى أن تأخذ نفسك على محمل الجد، إلى أن تأخذ خطوة واثنتين وثلاث وأربع نحو طريق الكتابة

وتفشل مرة واثنتين وثلاث وأربع ومن ثم تستكمل طريقك؟ ويطرح البعض السؤال البديهي: وهل قراءة بعض الكتب تكفي لصناعة كاتب؟ والإجابة قطعًا لا. ولكن كما نقول دائمًا، الكتب وغيرها من المصادر ذات الصلة هي مجرد إشارات خشبية تدلك على الطريق وتحفزك إلى أن تأخذ خطوة إلى هدفك. وكما أقول دومًا، إن الخطوة الأولى للطفل هي الخطوة الأصعب، حيث يحاول ويترنح ويقع، ثم يستطيع أن يقف على أرض ثابتة بعدها، ثم يهرول بكل براءة وحب وفرحة، وبكل ثقة وثبات. ولكن يجب أن تأخذ المسألة برمتها على محمل الجد، وتأخذ نفسك على محمل الجد، وخذ الكتاب على محمل الجد، وخذ المسألة برمتها على محمل الجد.

يقول العراب، «الجمال والإمتاع قيمتان أساسيتان في الكتابة، وعلى القارئ أن يجدهما بنفسه دون عون ... حاولت دائمًا فهم اللغز الكامن وراء السطور، ولماذا تبدو هذه الفقرة جميلة وتلك مفككة، ولماذا تمتعنا هذه القصة بينما تثير تلك مللنا. الرسالة الكهربائية الغامضة المنبعثة من اجتماع الحرف جوار الحرف، لا تقل غموضًا ورهبة عن الطريقة التي تتابع بها شفرة الحمض النووي لتصنع لنا حمضًا أمينيًّا مختلفًا في كل مرة، بنفس الرموز نحصل على بشرة ناعمة أو قامة فارعة أو صوت رخيم، وبنفس الحروف نحصل على راقصة باليه أو قطة أو خرتيت. هذا السحر الذي لا أعرف من أين يأتي ولا يمكن استدعاؤه عند الحاجة، ولو عرفت السر لصرت ملياردير‌ًا، ولنلت جائزة نوبل في الأدب خلال بضعة أعوام.»

هذا منطق شديد الأهمية؛ لأن العراب بكل تاريخه الكبير في عالم الكتابة لا يعرف سر اللغز الكامن وراء السطور، ولا أنا ولا غيري ولا

كل هذه المصادر ذات الصلة. الجميع يحاول أن يضع بعض الإشارات لك، أن يضع نصب عينيك بعض خبراته الشخصية، أن يستعين بخبرات ومصادر الآخرين لتقديم توليفة ومزيد من البهارات للحدوتة، والباقي شغفك هو الذي يقوم به إن كان موجودًا.

جمع العراب د. أحمد خالد توفيق نوعين: مقالات من داخل المطبخ حيث التوابل والخضر واللحم والفرن المشتعل، والنوع الثاني هو مقالات أدبية من خارج المطبخ كالمعارك الأدبية وغيرها. ويقول في جملة مفيدة مهمة أتفق معه كثيرًا فيها وأضعها أيضًا هدفًا مهمًّا لهذا الكتاب:

«وهكذا أقوم بممارسة عملية التعلم أمام القراء جميعًا. وأنا أعدك أنها ستكون عملية مفيدة لنا معًا، أو على الأقل مسلية، أو تبعث ابتسامة خافتة على شفتيك. عندها سأعتبر أنني نجحت.»

وقد نجح الرجل، ففي كل مرة أستعين بهذا الكتاب في إلقاء أي محاضرة أقوم بها داخل أو خارج المعتكف الكتابي يستفيد المتلقي بقوة ويبتسم أيضًا. وهذا هو الهدف من هذا الكتاب، أن أضيف إليك العديد من المعلومات التي لم تكن تعرفها وأن تبتسم أيضًا، فصناعة البهجة نحن نراها شيئًا أصيلًا بجوار صناعة الوعي أيضًا، فصناعة الوعي الفردي تؤدي إلى مزيد من الوعي الجمعي، وصناعة البهجة تؤدي أيضًا إلى حياة سليمة جيدة. والكتابة نحن نراها طبيبك الخاص، نراها وسيلة للاستشفاء، فالبهجة مع الكتابة تعطيانا إنسانًا سليمًا عقليًّا وجسديًّا، لأن من أكبر المشاكل التي تواجه الكُتاب أحيانًا هي المحيط الخارجي غير الداعم له من كافة النواحي، فلا سبيل للكتابة مع حزن ومحيط محبط خاصة لأصحاب التجارب الأولى.

بعد تلك الدردشة وهذا التمهيد، دعنا نبدأ.

إن الكتابة صلاة تحتاج إلى كثير من الخشوع والتركيز والوضوء بمزيد من القراءة والاطلاع.

والقراءة حبيبة! عليك أن تستمتع كثيرًا بوقتك معها وأن تهتم بها كثيرًا لتحصل على مبتغاك.

هناك مقالة رائعة بعنوان «التقمص» في هذا الكتاب يقول العراب فيها، «أعتقد أن الأديب الحق يخفي تحت جمجمته فتاة مهذبة ومقامرًا محترفًا وبلطجيًّا ورجل شرطة وجنديًّا وفتاة ليل ... يثير دهشتي كم الشخصيات التي تقمصها نجيب محفوظ مثلًا في ثلاثيته المذهلة، في لحظة يغوص في نفس كمال العاشق المرهف المثقف ويرتدي حذاءه ويتكلم مثله، في لحظة يسير في حذاء ياسين الشهواني الذي يقضي يومه في تأمل مؤخرات النساء، ثم فجأة هو سيد عبد الجواد الوقور المهيب الذي يهوى الخلاعة والطرب. كذلك يمكنه التفكير كباشا شاذ جنسيًّا، أو كشاب من جماعة الإخوان المسلمين في بدايتها، أو أم فقدت ابنتها الشابة السقيمة.»

وفي جملة ملفتة للنظر يقول العراب، «**النصب موهبة أخرى مهمة من مواهب الأديب، فعليه أن يخلق جوًّا زائفًا محكم التفاصيل يقنع القارئ**»، وأن «التقمص موهبة مهمة جدًّا عند الأديب، وأكثر أهمية عند كاتب المسرح أو السيناريو، وأهميتها لا توصف عند الممثل. في النهاية يظل المحتوى الإنساني هو الأهم والأكثر تأثيرًا، لكنه يصل بشكل أفضل كلما كان الإطار مقنعًا للقارئ.»

خلاصة المسألة أن فكرة التقمص لدى الكاتب أو المحاكاة مسألة شديدة الأهمية، وعادة العمل الأول للكاتب يعبر عن قيمه ومبادئه وعن

تسعين بالمائة من أفكاره الشخصية، ويكون الكاتب متمثلًا في عمله الأول تحديدًا مهما أنكر. عادة في المحاضرة التقليدية نقول ستين بالمائة فقط حتى لا نحرج الكاتب، لأن عملية الإسقاط تكون واضحة وقوية في عمله الأول، وأحيانًا الكاتب يُخرج كل مشاكله العائلية والمزعجة في محيطه الاجتماعي ويترجمها على الورق ويهاجم وبضرواة هذا المحيط، ولذلك نقول على استحياء أن عملك الأول يمثل ستين بالمائة من أفكارك وشجونك الخاصة في حين تكون النسبة أعلى بكثير من ذلك. عملك الأول الخيال فيه أقل، وقدرتك على الإبداع والتقمص وعلى إحضار شخصيات غير واقعية وعلى إلباسها ثوب الواقع تكون ضعيفة وضيقة بعض الشيء. ولا ضير أبدًا من أن تكتب عن نفسك، عن الشخصيات التي تحيطك، مع إضافة جزء من الخيال حتى لا تتعرض للحرج، فكثيرًا ما نرى أن هذه المسألة تمثل لك تخوفًا من الكتابة، عن الأسرة التي لديك معها مشاكل، عن الأم المتسلطة، عن الأخ الكبير المزعج، عن العم السيئ، عن أي شخصية لا تريد أن تكشفها على الورق. اكتب بكل قوة، وواجه بكل قوة، فالكتابة شفاء. وضع بعضًا من الخيال لتجتاز المسألة، ولا تصنع أي معارك جانبية تجعلك لا تحارب أو لا تبدأ كتابة. لكن ثق تمامًا أن عملك الأول هو أنت، هذه نقطة شديدة الأهمية. لكن فكرة التقمص هذه مسألة فيما بعد تستطيع أن تفعلها بكثرة ممارسة الكتابة ثم الاحتراف بها، نجيب محفوظ لم يستطع في بداياته ككاتب أن يكتب الثلاثية، لكن ثق تمامًا أنك ستصل إلى مرحلة من الاحتراف في يوم ما كما وصل نجيب محفوظ، أن تستطيع أن تكتب الكثير من الشخصيات ومعظمها يكون من خيالك بشكل كامل وليس من الواقع. والكتابة عن الواقع ليس عيبًا، فنجيب محفوظ الذي حصل على نوبل للأدب هو

ابن للحارة المصرية وأفضل من صورها، لكن أنا أتحدث عن أن فكرة التقمص بالنسبة للكاتب في عمله الأول ستكون صعبة بعض الشيء لكنها مهمة لك كثيرًا ككاتب يريد أن يكون له مشواره الخاص في عالم الكتابة والسرد والرواية.

ودعني أهمس في أذنك بشيء طريف ومزعج في نفس الوقت، هناك العديد من الكُتاب المعاصرين يكتب بعضهم عن بعض في أبشع صورة، بالتأكيد نتيجة خلافات نفسية ورجولية فيما بينهم، وكاتبات يكتبن عن أبطال يحلمن بهم في الخيال لصعوبة الارتباط بهم في الواقع، فلا تنجرف إلى هذه الهاوية، فالكتابة أرفع من ذلك ويفترض أن يكون الكاتب أرقى من هذا. حاول أن تؤمن بذلك.

في مقال آخر بعنوان «عن سدة الكتاب» يقول العراب، «الكتابة جزء من الجحيم بلا شك، فهي تجعلك في شك دائم: هل استطعت التعبير عما أريد؟ هل وفقت في كلماتي؟ هل النص جذاب؟ كيف أنهي القصة؟ ثم تأتي اللحظة الأسوأ، هي هل هناك قصة أخرى بعد هذه؟ هنا تبدأ أيام من التوقف، والأيام تصير أسابيع فشهورًا ربما. هناك ما يسمونه..

متلازمة الصفحة البيضاء.

حيث تظل لساعات ترمق صفحة خالية منتظرًا أن ينفتح في الورق ذلك الباب السحري الذي يقودك لعالم الرواية. هذه هي «**سدة الكاتب**»، **كابوس الأدباء المروع.**»

هذا نص شديد الأهمية لإشكالية تؤرق كل الحالمين بالدخول إلى عالم الكتابة وتجعلهم دومًا أسرى الأسئلة المعلقة: هل أنا كاتب حقًّا، هل أملك أي موهبة، أأنا موهوب أم موهوم، هل يخدعني أصحاب الورش

الكتابية ويدعموني فقط لأني «عميل» لديهم، هل يجاملني المقربون؟ ما السحر الذي كان يجعلني في الماضي أجلس أمام الورق وأكتب كالمجنون لعدة ساعات ثم يتوقف تمامًا ولا أجد كلمة واحدة صالحة للكتابة على الورقة البيضاء؟

يقول العراب، «الأدباء والفنانون يقتربون جدًّا من نهر الجنون، ومعظمهم من الشخصيات ثنائية القطبية التي تتأرجح بين الفرحة بلا سبب والاكتئاب غير المبرر لدرجة الانتحار. لهذا يمكن أن تحدث السدة نتيجة ظروف اكتئاب عابرة تُشعر الكاتب بالسدى والهباء.

من أسباب السدة كذلك خوف الكاتب الشديد من الكتاب القادم، إنه كالهداف الذي يقف أمام المرمي متأهبًا لتسديد ضربة الجزاء، يحبس الجميع أنفاسهم، يتهيب أن تضيع هذه الضربة ويخسر فريقه.

هناك بندولًا يتأرجح بلا توقف عند الكاتب بين الأحمق المغرور الذي يشعر أن ما يكتبه عبقري، والناقد الصارم شديد القسوة الذي لا يرضيه شيء. مَن تضخم الناقد عندهم توقفوا عن الكتابة، ومن تضخم الأحمق عندهم تدهوروا وفسد ما يكتبون. عملية معقدة، قريبة من الجنون فعلًا. أعرف كُتابًا موهوبين كثيرين لكن تضخم الناقد عندهم جعلهم يقتلون الأديب.

العبقري «الخليل بن أحمد الفراهيدي» كان يرفض كتابة الشعر — وهو واضع علم البحور أصلًا — لأن حاسة الناقد عنده عالية جدًّا، وكان يقول، (ما يأتيني منه لا أرتضيه وما أرتضيه منه لا يأتيني.)»

هذه هي الإشكالية الكبرى، لذلك أسميت الكتاب «متلازمة الورقة البيضاء»، أو طغيان الورقة البيضاء، تلك الورقة التي نجالسها ونسايرها

ونطلب القرب منها فلا نجد منها أو فيها سوى كل سدى وفراغ وصمت موجع لكل آمالنا في الوصول إلى شطط الكتابة، وتتركنا عالقين في خندق الأسئلة اللا متناهي: **هل ننتظر الوحي، وهل يمكن استدعاء الوحي؟**

سوف نشرع في شرح هذه المسألة بشكل مستفيض من خلال الكتاب.

هذه هي الأزمة الحقيقية لكل كاتب أو لكل مشروع كاتب، فالجميع عالق في تلك المشكلة، سواء كان صاحب تجربة أولى في عالم الكتابة، أو كاتبًا متمرسًا يدعي أنه يفهم كل شيء ويملك مفاتيح هذا العالم الفسيح.

وهناك بعض الحيل لمواجهة هذا المرض المزعج، يقول العراب، «هناك حيل كثيرة أقاوم بها السدة الكتابية، فأنا أؤمن أن ترك العمل لفترة والتلهي بأعمال أخرى ينعشك ويعطيك أفكارًا جديدة لدى العودة له. لا جدوى من نطح صخرة للأبد كما تفعل سلحفاة الصحراء الغبية التي لا تفكر أبدًا في أن تدور حولها.» ومن الحلول أيضا «إضافة شخصية أنثوية للقصة يحرك الأمور ويوجد صراعات وعلاقات لسبب لا أدريه، مثل مجموعة من الرجال المملين كريهي الرائحة غير حليقي الذقون، عندما تظهر فتاة فاتنة في حياتهم، فإنهم يحلقون الذقون ويستحمون ويلبسون ثيابًا نظيفة، ويكتسبون حيوية وتصير دعاباتهم ظريفة وأذهانهم أكثر حدة.

من ضمن الحلول أيضًا ذلك الحل الذي دعا إليه «هيمنجواي»: ألا تفرغ كل ما لديك على الورق، اترك بعض العصارة ليوم غد، لتجد شيئًا تبدأ به عندما تجلس غدًا لتكمل عملك. لا بد كذلك من كتابة أي شيء في كل يوم، حتى خواطرك الخاصة. الكتابة تضمر بعدم الاستعمال، وتصدأ كمفاصل البوابة، كما أن التوقف عن الكتابة لفترة طويلة يجعل الرهبة مضاعفة، فيصير الحرف على الورق مغامرة مخيفة غير محسوبة العواقب.»

هذا حديث شديد الأهمية ونصيحة الجميع، ما قرأت كتاب متخصص في هذا المجال في فن الكتابة أو القراءة إلا ووجدت هذه النصيحة،

عزيزي القارئ، أرجوك أمسك ورقة وقلمًا واكتب هذه الجملة:

«الكتابة تضمر بعدم الاستعمال»

نعم، عدم الكتابة المنتظمة يجعل المسألة أشد تخوفًا وأشد رعبًا، يجب أن تبدأ في الكتابة حتى وإن كتبت لا شيء، تناسَ تمامًا فكرة أن تكون ناقدًا لاذعًا لنفسك واترك فكرة النقد فيما بعد واكتب، اكتب دون تقييم، انسَ فكرة التقييم، اكتب للكتابة نفسها، فإن وجدت ما كتبته أمرًا جيدًا فهذا أمر جيد، وإن لم يكن جيدًا فلقد ساعدتك الكتابة واستمراريتها في أن تكتب ما هو جيد فيما بعد.

استمر في فكرة ممارسة الكتابة، هذه هي أهم نصيحة.

ولا تقلق فلا أحد يرى ما تفعل، والقنوات الفضائية لا تنقل ما تكتبه، فلا داعي للخجل أو استدعاء القلق دون داعٍ. أحضر دفترًا لطيفًا ومقربًا إلى قلبك واكتب وارصد كل شيء حولك، وسجل كل انطباع لديك حول كل شيء تراه وتسمعه وتحسه، واكتب عن ما تحب وما تكره، وعن ما تحلم به، وسترى في النهاية أن «المكنة طلعت قماش» وسوف تبتسم ابتسامة رضا وتشعر أن هناك أملًا في الأفق يلوح لك.

في مقال آخر بعنوان «القصاصة ما زالت في جيبي» يتحدث العراب عن إحدى التقنيات التي تساعد على الهروب من سدة الكتابة، يتحدث هنا أنه دائمًا معه ورقة وقلم ويكتب عناصر المسألة، يكتب رؤوس المسألة حتى يرجع إليها فيما بعد. وفي العصر الحديث الكثير من الكُتاب لديهم ملف على اللابتوب يكتبون فيه أهم لمحات أفكارهم وغيرها، فإن جلسوا أخذوا رأس الموضوع وتذكروا الحدوتة والقصة أو نوعية القضية التي يجب أن يتناولوها أو يكتبوا عنها. تلك مسألة شديدة الأهمية.

عن الأهمية القصوى لوجود قصاصة أو ورقة بيضاء وقلم، وفكرة التعليق على الأحداث، يقول العراب، «**الحياة حبلى بالإلهام خاصة في مصر. النماذج الغريبة تطفو على السطح وتثب في وجهك، ويتباين الأدباء في درجة حساسيتهم لالتقاط هذه النماذج.**»

دومًا نؤكد أن عين الكاتب وحواسه هي كاميرا فيديو تسجل الصوت والصورة وتراقب الآخرين مراقبة تأمل، وليست مراقبة تلصص، هناك فرق بين الاثنتين.. مراقبة تأمل. فحينما تنظر إلى الأمور والحياة بعين وفكر الكاتب، وبوعي الكاتب، فسوف تلتقط وتخزن الكثير من الأحداث ومن الشخصيات ومن النماذج البشرية الجديرة بالكتابة عنها. وعليه، فعليك بالمراقبة التأملية، ودومًا سجل كل شيء على الموبايل أو جهاز الكومبيوتر المحمول الخاص بك أو على الأجندة الصغيرة أو على

الورقة القديمة التي تحتفظ بها، سجل كل شيء، حتى تجلس على مكتبك ثم تفرد هذه الأفكار وتتذكرها جيدًا. هناك الكثير من الأفكار التي لن تتذكرها، سوف تتذكر فقط رؤوس الأفكار ورؤوس الموضوعات، وسوف تندهش كثيرًا أنك نسيت، وهناك بعض الموضوعات سوف تتذكرها وتكتبها. لذلك، من الحيل والتقنيات الهامة جدًّا لمعالجة مرض متلازمة الصفحة البيضاء أو سدة الكتابة، أو ما يسميه البعض بالبلوك، هي فكرة أن تسجل دومًا رؤوس الموضوعات التي تشغل ذهنك بين الحين والآخر، وهذه مسألة شديدة الأهمية سوف نعرض لها العديد من الحلول الأخرى نتيجة الاطلاع على العديد من المصادر وذلك من خلال سياق الكتاب. لن نتوقف أو نكتفي بما أشرنا إليه في هذه النقطة، فهناك العديد من النقاط والأفكار الجيدة لمعالجة مرض متلازمة الصفحة البيضاء، وذلك في ما هو قادم فكن معنا في التفاصيل القادمة.

في فصل آخر بعنوان «بين الغرور وانعدام الثقة» يتحدث العراب عن إشكالية شديدة الضخامة، ألا وهي **العقلية النفسية للكاتب**، وهذه مسألة محيرة كثيرًا، فدعنا في البداية نستمع إلى ما يقوله العراب في هذا الشأن ثم نتحدث معًا، وهذه المقالة شديدة الأهمية لأنها تتحدث عن نقطة قد يتعرض لها معظم الكُتاب.

في وقت ما يقول العراب، «ترى ما الخواطر التي جابت ذهن «هيمنجواي» وهو في ذروة مجده، عندما وضع فوهة البندقية في فيه وضغط الزناد بإصبع قدمه؟ ما كان «هيمنجواي» شخصية هشة، بل كان الرجولة تمشي على قدمين، وحارب مرارًا، وبرغم هذا ندرك اليوم أنه كان يخفي قسطًا من الهشاشة وكراهية النفس. لا بد للكاتب أن يعجب بأعماله ويستمتع بها، وتشعره كلماته بحالة من النشوة لا شك فيها. هذا منطقي وعادل. لو لم يعجب الكاتب بكتاباته فهو مخادع لنفسه والقراء، معناها أنه يبيع خبزًا فاسدًا وهو يعلم ذلك. قد نغفر لبائع الطعام الفاسد الذي يجهل أنه فاسد. في الوقت نفسه لا بد للكاتب أن يملك قدرًا هائلًا من كراهية النفس وعدم الرضا عنها! وبعض الكُتاب الذين أعرفهم يتحاشون قراءة أي حرف كتبوه من قبل لأنه يشعرهم بالضعة والفشل. كيف كتبت هذا؟ لماذا لم أعد صياغة تلك الفقرة؟ هل كنت ثملًا عندما كتبت هذه الفقرة السخيفة؟ قلت من قبل إن هناك بندولًا يتأرجح بلا

توقف بين الأحمق المغرور الذي يشعر أن ما يكتبه عبقري، والناقد الصارم شديد القسوة الذي لا يرضيه شيء. من تضخم الناقد عندهم توقفوا عن الكتابة، ومن تضخم الأحمق عندهم تدهوروا وفسد ما يكتبون. عملية معقدة قريبة من الجنون فعلًا. بعض النقد يكون قاسيًا جدًّا، وبعض القراء لا يرحمون كأنهم لن يشعروا بالرضا ما لم تنطفئ الشمعة.»

هنا نتوقف معًا حيث ينتهي كلام الدكتور أحمد خالد توفيق، انتبه عزيزي القارئ، أرجو تسجيل هذه الجملة كدستور للكتابة. اكتب هذه الجملة في ورقة وعلقها في غرفتك:

«لكن الكاتب الحقيقي لا يتوقف أبدًا. قد يتوقف عن النشر، لكنه لا يتوقف عن الكتابة، لأن الأمر يتجاوز إراداته. لا تستطيع النحلة التوقف عن إنتاج العسل مهما تلقت من نقد.»

يجب أن تكون دستورًا في حياة الكاتب. وهناك جملة أخرى أرجو كتابتها والتركيز عليها:

«بعض القراء لا يرحمون كأنهم لن يشعروا بالرضا ما لم تنطفئ الشمعة.»

شديد الأهمية أن تعي أن نقد القارئ قد يكون هو المقصلة التي أودت برقبة قلمك، لذلك احترس كثيرًا من نقد القارئ أو المتلقي ولا تنشغل به كثيرًا، انشغل بإنتاجك الشخصي، بقدرتك على الكتابة، ومن ثم ضع المادة الأدبية أو العمل الروائي أو الأدبي الذي صنعته للمتلقي. وهناك نظرية ثابتة اسمها «**نظرية موت المؤلف**»، بمعنى حينما تنتهي من العمل وتتم طباعته فأنت غير مطالب بشرحه في حفلات التوقيع أو النقاش حوله، فالمادة العلمية أو المادة الأدبية تُفهم حسب كل متلقٍّ. على سبيل

المثال رواية «الطنطورية» لرضوى عاشور، البعض يراها رومانسية بحتة، البعض يراها عملًا وطنيًّا بحتًا، البعض يراها عملًا أدبيًّا من العيار الثقيل، البعض يراها عملًا مملًّا للغاية، وهكذا. تلقي العمل الأدبي له أوجه مختلفة عند القراءة، فلا تنشغل بالقارئ كثيرًا، اكتب لنفسك.

حتى كاتب هذا الكتاب قد ينظر إليه البعض من المتمرسين في عالم الكتابة بنوع من الخفة نظرًا لقدرتهم الكبيرة على الإلمام بمعظم ما جاء فيه من قبل، أو لخلاف ما شخصي، أو خلافات في التوجهات الثقافية بينه وبينهم، وعلى الضفة الأخرى من النهر قد تجد من يرى في هذا الكتاب دستورًا له لطريقه في عالم الكتابة وسيستفيد كثيرًا مما جاء به. في كل الأحوال الكاتب هنا غير مطالب بشرح الكتاب بعد طباعته أو الحديث عنه، فلكل متلقٍّ حق النقد وحق القراءة حسب ميوله ودرجة ثقافته ودرجة وعيه الفردي. فلا تهتم، اكتب ما تريد وعبر عن رؤيتك كيفما تريد وبطريقتك الخاصة في الكتابة، وابذل كل جهدك في ذلك، ثم اترك الحكم للمتلقي أيًّا كان.

حتى في ورش الكتابة، قد تجد ورشة للكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيد أو عمر طاهر أو أحمد مراد أو محمد عبد النبي أو هدى أنور، وغيرهم من الكُتاب حسب درجة أقلامهم وتنوعها، ولن تجد إجماعًا على حرفية أي ورشة بعينها، فالاختلاف سمة الحياة بشكل عام والوسط الثقافي بشكل خاص جدًّا يا عزيزي.

نعود للعراب وهو يقول، «تذكرت هذا كله وأنا أراجع سيرة الشاعر الكبير «عبد الرحمن شكري»، وهو شاعر مرهف شديد الحساسية (وكان لشكري هذا معركة أدبية كبيرة) ... قلت من قبل أن الشاعر الحقيقي لا

يستطيع التوقف متى أراد، فالأمر كاسح وأقوى منه، لو استطاع التوقف فهو ليس شاعرًا بالمرة. برغم خصام عميد الأدب العربي «طه حسين» مع شكري، فإنه قد قال المعنى ذاته عندما قرر شكري أن يعتزل الشعر ولا يقرضه، نصحه العميد بأن يصمد للنقد والهجوم، أما إن كان الهجوم يغريه بالتوقف فليتوقف، فالشعر لن يخسر شاعرًا يتوقف إذا أراد.»

كلمات عميد الأدب العربي طه حسين لشاكر تلخص بالضبط ما أردت قوله، وأزيد عليه أن توقفك عن الكتابة لن يضر الوسط الثقافي أو الأدبي شيئًا، فإن كنت روائيًّا عظيمًا فلن تخسر الساحة الأدبية والروائية قلمًا، فهناك العشرات بل والمئات من الأقلام. **الخاسر الوحيد هو أنت، خروجك من الحلبة هو قرارك الخاص ويعود إليك**. وإن كنت شاعرًا فنفس المنطق، وإن كنت كاتب مقال فنفس المنطق، وإن كنت كاتبًا صحفيًّا، نفس المنطق. حينما تكف عن الكتابة فأنت الخاسر الوحيد، وليس كما تظن أن العالم سوف يتوقف عن الدوران لأن قلمك أخذ قرارًا بعدم الكتابة، هذا وهم شخصي مهما كنت مؤمنًا بقلمك، أو مهما كان مَن حولك مؤمنين بما تكتبه، أنت لن تنتقص شيئًا من الوسط أو الساحة الأدبية إن اعتزلت الكتابة الآن. لذلك، عليك أن تكتب إن كنت جديرًا بالإمساك بهذا القلم.

وهمسة في أذنك بشكل شخصي، حينما تكتب وينتشر قلمك في الوسط الثقافي وتظن أنه قد أصبح لديك قراء ينتظرون ما تكتب، فسوف يطمئن قلبك أن لك جمهورًا وأن قلمك يمثل «حجر زاوية» — أحب أن أقول لك هذا غير صحيح! فعصر تأثير القلم والمثقفين في الجماهير قد ولى، وقد يعود في وقت ما، ولكن عليك أن تعي أن قلمك يكتب فقط لأنك

تريد أن تكتب وأن لديك ما تريد طرحه، واعلم جيدًا أن «الإيجو» العالية والمريضة لدى الكُتاب هي من تودي بهم إلى وادي العزلة والوهم، أو إلى الانتحار فيما بعد مثلما حدث للعديد من الكُتاب من قبل، وثق تمامًا أن هناك ألف فرق ما بين أن تؤمن بقيمك ومبادئك وقيمة قلمك وبين أن تتوهم أنك «واسع النفوذ». هذا مرض يصيب الكثير ممن ينتسبون إلى الوسط الثقافي سواء كانوا كُتابًا أو محررين صحفيين أو حتى ناشرين وغيرهم، فلا تشترك معهم في هذا العبث.

لا تتوهم وكن صاحب مشروع ورؤية، وانطلق.

وعن فن وعبقرية النهايات المفتوحة الذكية وملاعبة القارئ واستفزازه تعالوا نستمتع بتلك التفاصيل في هذا المقال البديع بعنوان «أحجية روائية»، وهو مقال شديد السخاء والثراء لذلك لن نعلق كثيرًا عليه بقدر ما سوف نسجله ونلقي الضوء عليه.

«التجربة الأولى هي «الفتاة أم النمر؟» قصة الأديب الأمريكي «فرانك ستوكتون»، وهي قصة ذائعة الصيت، لدرجة أن تعبير «الفتاة أم النمر؟» صار تعبيرًا لغويًّا يشير للمشاكل غير القابلة للحل.

هناك ملك متوحش من ملوك الأساطير، تفتق ذهنه عن طريقة سادية لإعدام المجرمين. على المجرم أن يقف أمام بابين مغلقين، عليه أن يستجمع حدسه وشجاعته كي يختار بابًا من الاثنين. أحد البابين وراءه حسناء يمكن أن يتزوجها الأسير، بل واجبه أن يتزوجها إذا شاء الحياة. الباب الثاني وراءه نمر جائع غاضب. الاختيار سوف يؤكد براءة الرجل أو جرمه، أن يمزقه النمر معناه أنه آثم.

عندما يقبض الملك على أحد الفتية في جناح ابنته، ويدرك أن هذا

الوغد من عامة الشعب ويريد الفوز بالأميرة، يكون عقاب الفتى هو الاختيار المعتاد: الفتاة أم النمر، عليه أن يختار. ينظر الفتي المذعور حوله فيرى أن الأميرة حبيبته الجالسة وسط صفوف المشاهدين تشير لباب من البابين إشارة خفية. لا بد أنها تريد له النجاة. هي بالتأكيد تعرف أين يوجد النمر.

هنا مشكلة أخرى. الأميرة غيور جدًّا وحادة الطباع وتنتمي لنسل متوحش، وهي من الطراز الذي يفضل أن يموت حبيبها على أن يتزوج فتاة أخرى، فما بالك وهي تعرف الحسناء الواقفة خلف الباب وتكرهها؟ فهل انتصرت المرأة الغيور أم انتصرت الأميرة المحبة؟ في الحالين هي تعرف أنها فقدته وأنه لن يصير لها أبدًا. هل يطيعها ويصدق إشارتها أم يختار الباب الآخر؟ يتجه إلى الباب الذي أشارت له ويفتحه..

وهنا يقول ستوكتون، (أنا آسف، لا أستطيع أن أتوقع النتيجة، ولا أعرف ما الذي خرج من الباب، الفتاة أو النمر؟) وتنتهي القصة.

القصة أثارت غيظ القراء على مدى التاريخ منذ كتبت، لكنها كذلك شحذت ذكاءهم وجعلتهم يمعنون في الاستنتاج، فرأت النساء أن المرأة مضحية بطبعها وتفضل أن ينعم حبيبها في أحضان أخرى ما دام حيًّا، بينما رأى الرجال أن هذا هو طبع المرأة، تفضل أن يمزق النمر حبيبها على أن يعيش مع امرأة أخرى.

التجربة الثانية قدمها الساخر الأمريكي العظيم «مارك توين» في قصة قصيرة اسمها «قصة من العصور الوسطى».

في العام 1222 هناك أميران: أحدهما دوق براندبورج والآخر سيد كلوجنشتاينز. أوصى أبو الأميرين قبل موته بأنه لو لم ينجب دوق

براندبورج ابنًا ... فالمملكة تنتقل لابنة دوق براندبورج، وبشرط أن تحافظ على عفتها. فإن لم يكن فابنة سيد كلوجنشتاينز هي التي تنتقل لها المملكة.

كان سيد كلوجنشتاينز طامحًا في الحكم، خصوصا أن أخاه دوق براندبورج لم ينجب ذكورًا، ودعا سيد كلوجنشتاينز الله أن يرزقه بولد فلم تنجب زوجته إلا ابنة. كان الرجل سريع التفكير، أعدم الخادمات والقابلة اللاتي شهدن على مولد الفتاة وأعلن أنه أنجب ابنًا ذكرًا، وألبس ابنته ثياب ولد وأسماها كونراد، وعاشت حياة الفتيان منذ أول يوم في حياتها.

لقد صارت الثمرة دانية القطاف، ولسوف يتم تتويج كونراد ليكون ملكا، بعدها يمكن الإعلان عن شخصيته. فقط هناك احتياط مهم: القانون يقضي بإعدام أي امرأة تجلس على كرسي العرش ما لم تكن ملكة البلاد صراحة. على كونراد، الذي هو فتاة، ألا يجلس إلى هذا المقعد أبدًا إلا بعد تتويجه. بالإضافة لهذا اتخذ الأب الشرير احتياطه، أرسل إلى أخيه فارسًا وسيمًا اسمه الأمير دتزين يقيم عنده، والهدف هو أن تقع الأميرة ابنة أخيه في حب الفارس وتتلوث. هكذا لا يصير من حقها اعتلاء العرش أبدًا.

بالفعل تحمل الأميرة ابنة الأخ من عشيقها الوسيم الذي يهرب من البلاد. يصل كونراد إلى بيت عمه ويتعامل باعتباره فتى مكتمل الرجولة، ويحبه الجميع، لكن طبيعة الأنثى فيه تجعله أكثر التصاقًا بالأميرة ابنة عمه. ثم تأتي اللحظة المحتومة عندما تلد الأميرة طفلها غير الشرعي ابن دتزين، ويكلف أبوها ابن عمها الوسيم كونراد بأن يرأس محاكمتها. على

من يرأس المحاكمة أن يجلس إلى كرسي العرش! وهكذا يجلس كونراد إلى الكرسي مرغمًا، عالمًا أنه لو عرف الناس أنه فتاة فلسوف يُعدم بلا مناقشة. لا بأس، إن هي إلا أيام ويصير ملكًا ويعلن السر الذي أخفاه طيلة حياته.

تطلب هيئة المحكمة من الأميرة أن تعلن اسم والد الطفل حتى لا يُقطع عنقها، تفكر بعض الوقت ثم تنظر في كراهية وحقد لابن عمها كونراد الجالس على العرش وتقول، (أنت والد الطفل.)

طبعًا يمكن إثبات كذبها لو نزع كونراد التنكر ليعرف الناس أنه فتاة. لكن هناك مشكلة، هي أنه جلس على العرش قبل التتويج. لو قال إنه فتاة فلسوف يُعدم فورًا كما يقضي القانون.

بينما القارئ ينتظر محبوس الأنفاس يقول مارك توين، (للأسف لن تجد بقية هذه القصة في هذا الكتاب ولا أي كتاب آخر ولا في أي وقت في المستقبل. الحقيقة هي أنني وضعت «بطلي» أو «بطلتي» في ورطة معقدة، ولا أعرف كيف أخرجه منها، لهذا أتخلى عن المهمة كلها، وأترك للبطل أن يخرج من ورطته بأفضل طريقة يتوصل لها. ظننت الأمر سهلًا ثم تبينت أنه عسير جدًّا.)

هذا يذكرنا بالمعضلات الكريتانية الشهيرة في المنطق، مثل حلاق القرية لا يحلق إلا للرجال الذين لا يحلقون لأنفسهم، فأين يحلق هو؟ لو حلق لنفسه فإذًا لا يمكنه أن يحلق لنفسه، لو لم يحلق لنفسه فعليه أن يحلق لنفسه.

حتى في فن السينما سوف تجد أمثلة عديدة لقصة الأحجية، لعل أشهرها نهاية فيلم «العملية الإيطالية» (1969) من بطولة «مايكل كين»،

حيث تنزلق الحافلة التي تحمل سبائك الذهب لتقف بالضبط في وضع ميزان على حافة الهاوية. اللصوص في ناحية والذهب في ناحية أخرى، أي حركة ستسقط الحافلة في الهاوية. ينتهي الفيلم هنا لأن المؤلف لم يجد حلًا. وفيما بعد حاول كثيرون حل المشكلة وأولهم مايكل كين نفسه الذي اقترح أن يعمل محرك الحافلة إلى أن يفرغ من الوقود فيصير جزء الخزان خفيفًا.

لا أعرف حظ هذه القصص من الأدب، لكنها تسبب لك مرحلة غيظ أولية إجبارية ثم تكتشف أنها ممتعة وذكية فعلًا.»

سوف نعلق عليها فيما بعد لأن سرد هذه القصص سيمتعنا ويوضح لنا مدى احترافية الكاتب الأجنبي واتساع آفاقه عن الكاتب العربي. وبعد أن ابتسمت عزيزي القارئ من تلك النهايات الذكية دعنا لا ننسَ أن الإشكالية الكبرى في أعمالنا الروائية أو الدرامية بشكل عام هي «ذكاء النهايات» الذي يتلاقي مع رغبات القراء في نهايات تروق لهم وتتعارض مع رغبة الكُتاب في استفزاز المتلقين بنهايات غير متوقعة، فيحدث الصدام دائمًا. ونصيحتي لك، لا تكن اعتياديًّا، واختر بنفسك ما تريد أن تكتب، ولا تنصاع لمدرسة ما في هذه النقطة بالذات.

إشكالية خالدة!

يأخذنا العراب في مقال جديد مبدع الحقيقة بعنوان «إبداع حتى النخاع»، وهذه المسألة شديدة الخطورة وقضية من القضايا المفصلية لأنها تتحدث عن قيم الكاتب ومبادئه، ماذا تريد أن تقدم، وماذا يحمل قلمك من مبادئ، وهل هناك حدود للإبداع؟

هنا اختلفت المدارس كثيرًا، سأبدأ سرد هذه المسألة والغوص فيها بجملة شديدة الأهمية، أرجوك عزيزي القارئ أن تأخذ ورقة وقلمًا وأن تكتب هذه الجملة وأيضًا أن تتزين جدار غرفتك أو مكتبتك.

يقول الدكتور جلال أمين:

«حرية الفرد في الكتابة يجب أن تكون لها حدود مثل حرية الفرد في إطلاق الرصاص على الناس.»

من أفضل الكلمات التي استمتعت بها هذه الجملة، الكلمة مثل الرصاصة. وإن ظن البعض أنها ليست قاتلة، فهي في كثير من الأحوال قاتلة ولها تأثير إما جيد أو سيئ مهما أنكرنا ذلك. سوف يعترض الكثير على هذا خاصة أنصار فكرة عدم وجود حدود لهذا النوع من الأدب، لكن أنا أتفق تمامًا مع الدكتور جلال أمين، في حين يقول العراب د. أحمد خالد توفيق، «**ليست الكتابة عن الجنس هي المشكلة، المشكلة هي الفحش فيه، وهي كتابته للتلذذ الشخصي أو لجذب القارئ أو لاستثارة**

غضب المحافظين.» ويزيد من الشعر بيتًا حينما يقول:

«الحلم هو أن يكون الأديب هو الرقيب الوحيد على ما يكتبه، وأن يدرك جيدًا أنه يجلس في مقعد محترم جدًّا جلس فيه من قبله «تشيكوف» و«دستويفسكي» و«يحيى حقي» و«يوسف إدريس» و«نجيب محفوظ» و«محمود تيمور» و«تشارلز ديكنز» و«مارسيل بروست» و«فلوبير» و... و... هؤلاء كتبوا عن الضعف البشري والشهوات والإلحاد، لكن كيف كتبوا؟»

وهنا العبقرية. الفكرة ليست في تناول القضية، بل في كيفية تناولها. معظم المادة أو الأفكار التي تدور حولها الأعمال الأدبية والروائية وغيرها هي أفكار قد تبدو عامة: الفقر، الغنى، الحب، الوطن، الدين، الجنس، معلومات أو رؤوس أقلام أو عناوين عامة متعارف عليها. كيف تتناولها، كيف تصيغها، كيف تجعلها عملًا حيًّا من دم ولحم؟ دومًا هناك تعريف بسيط جدًّا للرواية، يقال إنها الكتابة عن شيء عادي بشكل غير عادي. قد تكتب عن الحب وهو شيء عادي، تكتبه بشكل غير عادي، هنا تكمن حِرفية قلمك. ورغم أن ذلك تعريف مبسط للغاية للعمل الأدبي أو الرواية، لكنه تعريف جامع في واقع الأمر.

نعود معًا إلى رؤية العراب عن فكرة الإبداع والحدود ونقتبس هنا قوله «هذه معركة شرسة لا تعترف بالواقفين بين الفريقين، فأنت إما معنا أو ضدنا»، جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وتذكرني بمقولة بوش الابن بعد حرب 11 سبتمبر، إما أن تكون معنا أو علينا، ليس هناك فريق ثالث. إما أن تكون ضد الإبداع أو مع الإباحية، هكذا يصنفك الآخر للأسف الشديد.

«إما أن تقف مع الفريق الذي يمنع ويتحفظ ويتهم فتصير محاربًا لحرية الإبداع وأحد دعاة الظلام»، وهذا حقًّا يراد به باطل، «وإما أن تقف مع الفريق الذي يناضل من أجل حرية الإبداع فتصير مخلب الغرب وأداته لهدم قيمنا (قيم مجتمعنا). الواقع أنني شبعت كثيرًا من المتربصين (بالنوايا)، واصطدمت معهم أكثر من مرة حتى فاض بي فعلًا. التفتيش في الضمائر ممتع ولذيذ جدًّا ويشعرنا بأننا قضاة نصدر الأحكام من فوق عرش عالٍ.»

يستكمل العراب، «أعترف بأن هناك حالة عامة مؤكدة من الانفلات بدعوى الإبداع. صار من المحتم أن يقال كل شيء وبأعنف شكل ممكن، وإلا فأنت متخلف وتدافع عن قوى الرجعية، وتفوح منك رائحة النفط الخليجي.

منذ فترة طويلة لم أقرأ كتابًا جديدًا خاليًا من لفظة أو لفظتين مما اعتدنا سماعه في السوق وموقف عبود. هناك خلطة مُحكمة معروفة مقاديرها ولا تفشل أبدًا وينفذونها بدقة شديدة: غضب، تجديف واستهانة بالدين، جنس، يأس، حشيش، محارم. هذه الرواية لا بد أن تغضب الجميع وتشتهر، وحبذا لو منعها الأزهر فهذا يوم سعد المؤلف، سوف تنعقد من أجله الندوات ويصير موضوع العدد لعدة مجلات أدبية. فقط ينسون شيئًا مهمًّا في هذه الخلطة وهو ضروري لابتلاعها: الموهبة. الفن.»

كان هذا رأي العراب، وهو رأي عبقري الحقيقة، ويستعين بحدوتة طريفة للغاية أسردها هنا أيضًا لاستبيان مدى فداحة استخدام الجنس في العمل الدرامي أو الأدبي. يعود العراب ويضرب بقوة ويقول، «شاهدت على موقع يوتيوب فيلمًا قصيرًا لمخرج من خريجي معهد السينما أصابني

بالذهول، وكالعادة يتخذ الموضوع طابع قضية فكر أمام خفافيش الظلام. الفيلم يدور حول عاملة سنترال تقزقز اللب طيلة الوقت ولا تقول جملة واحدة من دون سبة جنسية يعاقب عليها القانون. تراقب الزبائن وتدرك نفاقهم، بين الزوجة المسيحية التي تخون زوجها مع صديقه، والمنتقبة التي تضرب مواعيد لزبائن الدعارة من الكابينة. عمل كهذا في رأيي ينبع من رغبة أصيلة لدى صانعه أن يشعر بأنه ليس بهذا السوء. كل الناس منحلون منافقون.

من لم يزنِ هو شخص لم يجد فرصة بعد. أحد أصدقائي رأى الفيلم فقال ساخرا، «الفائدة الوحيدة التي يقدمها هذا الفيلم للمجتمع هي اغتصاب عاملات السنترال لأن كلامهن»أبيح» والإيمان المطلق بحق المواطن في تحويل كابينة التليفون إلى حجرة نوم. آخر ما يمكن أن يحدث عقب مشاهدة فيلم كهذا هو أن يخرج الناس من دور العرض وقد تطهروا. فلا بد أن برجمان وسير ديفيد لين كانا ينافقان العقلية البرجوازية بكل هذا التهذيب والرقي المصطنعين إذن.

أحيانًا يخيل لي أنه كان من السهل والأبلغ أن يصور المخرج قطعة فضلات بشرية جوار جدار لمدة نصف ساعة. مهما قال وفعل فلن يعبر بهذه البلاغة أبدًا.» هذا المثال الطريف للغاية والفج أيضًا في نفس الوقت الذي عبر عنه الدكتور أحمد خالد توفيق يؤكد لنا أن الاستخدام الفج للجنس في العمل الدرامي يقتل العمل الدرامي ويردي العمل الإبداعي قتيلًا، يعطيك منتجًا مشوهًا تجاريًّا تريد أن تتكسب منه بشكل غير مشروع. أتريد أن تكتب عن الجنس لأنه قضية حيوية في سياق الأحداث التي سوف تتكلم عنها، أم أن الجنس هو مسألة تشغلك على المستوى

الإنساني والشخصي ومن ثم تعكس على الورق ما يشغلك وما يشغل قلمك بشكل عام؟ هذه مسألة وهذا سؤال شخصي لا نريد إجابة عنه بل يجب أن تجيب نفسك بنفسك، ماذا تريد من استخدام الجنس في أدبك؟

يقول العراب شيئًا طريفًا آخر: «في السبعينيات قرأت قصة احتلت صفحتين من مجلة «الإذاعة والتليفزيون» لقاص يصف في اشتهاء ثديي أمه، ليس باعتبارهما رمزًا للخصوبة والعطاء ... إلخ، بل لأنهما ببساطة يثيرانه (جنسيًّا). كنت مراهقًا في المدرسة الإعدادية لكني تساءلت عن القيمة الأدبية العظمى التي قدمتها هذه القصة، وما كانت البشرية ستخسره لو لم تُنشر أو لم تُكتب.»

هذه نقطة شديدة الأهمية، أن تتساءل دومًا عن الفائدة المرجوة مما تكتب أيًّا كان ما تكتبه. ويبقى في النهاية العراب في الإعدادية أو غيره هو مجرد متلقٍّ يتلقى العمل الإبداعي الخاص بك بشكل إيجابي أو سلبي، لكن ما نريد أن نقوله من هذه الواقعة إنك يجب أن ترى ماذا سوف يكون تأثير كتاباتك على الآخرين بشكل عام، هذه مسألة يجب أن تضعها في اعتبارك جيدًا.

يقول العراب أيضًا إن هناك جملة هو يأخذها عن كاتب وناقد كبير هو لا يتذكر اسمه للأسف — هذا المقال نشر في مجلة «الهلال» نأخذ عنها — قال، «إن الأديب يمكن أن يتعامل مع الجنس، بل يجب أن يتعامل معه، باعتباره جزءًا حميمًا من مكونات حياتنا، ولكن عليه وهو يفعل ذلك أن يمتلك قدرًا من النظرة الفوقية والموهبة تسمحان له بأن يتعالى على عُقده الشخصية ورغباته المكبوتة. بمعني آخر: لا يكتب ما يتحلب لعابه له أو ما يثيره هو شخصيًّا. طوفان الأعمال الإبداعية الذي غرقنا فيه منذ

أعوام، عاجزين عن الاعتراض حتى لا نُتهم بالتخلف والرجعية. هذا الطوفان هو طوفان عقد نفسية وصديد بلا شك، ولا أعتقد أن الصديد سائل مفيد للفكر أو يعبر عن حرية صحية. إنه يلوث كل شيء يلمسه، وإن كان خروجه يريح صاحبه قليلًا.»

كالعادة العراب يضرب بيد من حديد ويسخر بمنتهى القوة: الصديد الخاص بالدمل الذي تعاني منه ككاتب تريد الكتابة عن الجنس من خلاله لا يجب أن تقذفه علينا أو تصيب المجتمع به. هذه هي كانت رؤية العراب على ما فهمت ورؤية الدكتور جلال أمين أيضًا، وهي رؤية تتوافق أو تتماشى كثيرًا مع تيار موجود، هذا التيار يرى أن هناك حدودًا للعمل الإبداعي وكيفية التناول الخاصة به، في حين أن هناك فريقًا آخر من الكُتاب يرى أن القلم خُلق ليكون حرًّا وأن من الحماقة وضع أي ضوابط أو حدود، وأن مَن يضع الحدود ومَن يراقب مَن في هذه المسألة؟

عباقرة يكتبون لأبقار

ونأتي الآن لمسألة شديدة الأهمية، إحدى المشاكل الكبرى التي تواجه القراء والكُتاب كذلك في المجال الثقافي بشكل عام، وهي حول «المتحذلقين» كما أسماهم العراب، أو كما نطلق نحن عليهم «الفتايين» بلغة ولاد البلد. سأبدأ في هذه المسألة بجملة مهمة للعراب أحمد خالد توفيق يقول، «إن المشكلة مع هؤلاء الأدباء هي أنهم دومًا عباقرة يكتبون لأبقار.»

هناك البعض من الكُتاب يزعم أنه أديب، ومصطلح أديب كلمة شديدة الضخامة واستحقاقها وتحقيقها أمر شديد الصعوبة، ويطلقها الآخرون وليس الكاتب على نفسه. المهم هو يرى أنه عبقري ويكتب للبقرة. المتلقي بقرة. أينعم، حضرتك يا من تقرأ من وجهة نظر هؤلاء الكتاب مجموعة من البقر لا غير. كيف ذلك؟

دعنا نرجع لمقال المتحذلقين، ستفهم معي ماذا أريد أن أقول لك. كانت هناك مقدمة رائعة عن الكاتب الكبير الساخر العظيم «أحمد رجب» ويحكي حدوتة شديدة الطرافة وشديدة السخرية وشديدة القتامة أيضًا، حينما ألقيها عليك سوف تبتسم ولكنك في قرارة نفسك سوف تحزن أيضًا، ماذا يقول؟

«ما قام به «أحمد رجب» منذ عقود كان نكتة عملية قاسية. في ذلك

العصر اكتشف «أنيس منصور» الكاتب السويسري العظيم «فرديك دورنمات»، أنت تعرفه بالتأكيد إذا كنت قد قرأت أو شاهدت مسرحية «زيارة السيدة العجوز» أو «البطل يدخل الحظيرة» أو «علماء الطبيعة». كان دورنمات يكتب بالألمانية، لذا لم يكن بوسع كل واحد أن يصل لروائعه. هنا قام أحمد رجب في نصف ساعة بتأليف مسرحية عجيبة لا معنى لها اسمها «الهواء الأسود» وكتب أنها نص مفقود لدورنمات، وطلب رأي مجموعة من أساتذة النقد في مصر. كانت هناك مسرحية لـ«توفيق الحكيم» من مسرح اللامعقول اسمها «يا طالع الشجرة»، وكانت أعمال «يوجين يونسكو» العجيبة تقابل بحماسة غير عادية، لذا كان هذا الكلام الغريب مقبولًا ومحبوبًا. انبرى النقاد يمدحون المسرحية — التي لا معنى لها — ويشيدون بعبقرية الكاتب السويسري وبراعته. هناك أسماء براقة جدًّا لا أجرؤ على ذكرها هنا.

أخيرًا وجَّه أحمد رجب ضربته القوية، وأعلن أنه هو مؤلف المسرحية، وأنه لا يعرف أي معنى لهذا الهراء الذي كتبه. بالطبع صمت النقاد العباقرة، وإن قال بعضهم إن النص قد لا يكون لدورنمات لكنه عبقري برغم هذا، وقال بعضهم إن أحمد رجب تفوق على نفسه. هذه ضربة. ضربة محسوسة جدًّا على رأي شكسبير.

إن التحذلق بحر لا ينتهي ولا يجف أبدًا. أذكر أنني كنت في ندوة لأديب شهير واستضاف ناقدًا كبيرًا ألقى محاضرة طويلة قاتلة عن منهج جديد للنقد، أطلق عليه «الخارطة الجينية للإبداع». هلل له الموجودون وصفقوا. لم أفهم الكثير مما قال لأنني غبي، فاتصلت بأغلب من حضروا الندوة لأستزيد من علمهم. لم أجد واحدًا قد فهم ما يريد الرجل قوله!

اتصلت به هاتفيًّا وقلت له في بلاهة:

– أنا فلان، كنت أريد أن أعرف تفاصيل منهجك في النقد بالخارطة الجينية.

قال في برود:

– أي خارطة؟

– الخارطة الجينية للنقد.

– هل أنت متأكد من أنك اتصلت برقم صحيح؟

وضعت السماعة وأدركت أن الرجل هو نفسه لا يعرف حرفًا عما قاله لمدة ساعة في الندوة. لكن العنوان رهيب ويجمد الدم في العروق، ويشعر من لم يفهمه بأنه هو الغبي.»

ينتهي هنا الاقتباس من العراب عند نقطة شديدة السخرية، أن الرجل الذي تحدث بمصطلحات ضخمة لا يعي هذه المصطلحات لا من قريب ولا من بعيد. ويضرب مثلًا آخر بحدوتة طريفة لـ»تشيكوف» القصصي الروسي العبقري، كان هو الآخر من ألد أعداء التحذلق والادعاء. هناك مجموعة من السيدات دخلت مكتبه منتفخات كالطواويس، «سألته إحداهن: بالنسبة للحرب بين تركيا واليونان يا أنطون، هل ترى أن تركيا هي الأقدر على الفوز؟

أدرك بطبيعة الكاتب المرهفة أنهن لا يبالين شعرة بهذه الحرب، فقال في هدوء: سوف ينتصر الأفضل.

عدن يسألنه عمن يفضل، تركيا أم اليونان، فقال باسمًا: أنا أفضل حلوى النعناع من البلدين معًا. بعد قليل دخل جوركي المكتب ليجد

تشيكوف يثرثر في حماس مع السيدات عن حلوى التفاح وهل هي ألذ أم حلوى النعناع، وعندما انصرفت السيدات وعدته واحدة منهن بأن ترسل له صندوقًا من حلوى النعناع، فهي سعيدة لأنه يحبها مثلها. قال تشيكوف لجوركي عندما صارا وحيدين، أنه أدرك أنهن لا يهتممن لحظة بالموضوع، وإنما هو التحذلق والحاجة للظهور بسمت المثقفين، بينما عندما قادهن إلى موضوع محبب لهن فعلًا دبت فيهن الحيوية، وصرن رائعات وصارت الجلسة ممتعة. كل إنسان يكون أفضل عندما يتكلم في الموضوع الذي يروق له.»

انتهى الاقتباس هنا. يجب أن تتعلم أن تتحدث في الموضوع الذي يروق لك وتستطيع أن تتحدث فيه وتكون إضافة. ابتعد تمامًا عن كل ما يعقد لك الأمور خاصة في هذا الوسط. واستكمالًا لنفس القضية التي كنا نكتب أو نتحدث فيها، فهناك رأي شديد الأهمية لدكتور جلال أمين حيث يقول، «فإن هناك رجال دين مزيفين يزعمون اتصالهم بالإله لتحقيق مكاسب دنيوية، وهناك أدباء مزيفون يزعمون اتصالهم بربات الفنون لتحقيق مكاسب أخرى. الإله يقول نعم.. الإله يقول لا.. تذكر أن ساحر القبيلة لم يكن يجيد الصيد ولا القنص ولا الزراعة ولا القتال، ولم يكن يستطيع عمل وعاء من خزف ولا يستطيع الإمساك بثور أو العناية بالماشية، هكذا تقرر أن يصير سيد الصيادين والمحاربين والمربين والخزافين.. إنه على اتصال بالآلهة ويعرف كل الأسرار.» هذا الرأي للدكتور جلال أمين شديد الأهمية، إن من يزعمون أنهم كتاب أو أنهم على مستوى عالٍ من الثقافة، غالبًا هم ليسوا أكثر من سحرة القبيلة، لا نفع منهم بأي حال من الأحوال.

ويضرب العراب بقوة مرة أخرى ويتحدث عن الفئة التي ترى أن الآخر حيوان لا يعي وأنهم يمتلكون الحقيقة فقط، ويضرب بقوة هنا على أدباء (وهذا لفظ ضخم)، على كُتاب (هذا لفظ أدق)، كُتاب مقاهي وسط البلد. يقول العراب بالنص:

«هكذا يذهب الأديب لمقاهي وسط البلد متداعية الجدران ويدخن الشيشة وربما الحشيش، ويشتم الناشر النصاب الذي يزعم أنه لم يبع سوى طبعة واحدة بينما هو حتمًا باع تسعًا. ومن حين لآخر يقع في يده عمل لأديب من أصدقائه فيقول:

– حقيقي ده حد جميل.

هذه هي طريقة كلام وسط البلد، وعليك أن تتعلمها لو أردت أن تكون شيئًا.

يمكنني أن أعرف مسار حياة معظم هؤلاء الأدباء بوضوح تام: ثلاث روايات أخرى ومجموعة قصص قصيرة، عدة ندوات وثلاثة لقاءات تلفزيونية، وربما بعض المقالات عن «النزعة الابستمولوجية في أدب كولنز»، ومشاجرة أو مشاجرتين على شبكة الإنترنت في موقع لا بد أن اسمه»انطلاقة» أو «إبداع»، ثم تتلاشى الفقاقيع، وتبقى كتبه على الرفوف وفي مخازن هيئة قصور الثقافة حيث هي، ولن يذكره أحد لو اختفى عامًا واحدًا عن المحافل، التي يحرص طبعًا على الظهور فيها، وما نسميه نحن سكان خارصيت بـ»مجتمع الحديقة الخلفية لأتيليه القاهرة». ثم يموت يومًا فلا يلاحظ أحد، ويكتب أحد أصدقائه يلوم وزارة الثقافة لأنها لم تكرم هذا الأديب المهم.

قرأت مقالًا لروائي شهير يشيد فيه برواية صديق له، ثم قرأت مقالًا

يشيد فيه الصديق برواية لذلك الروائي الشهير. هكذا تسير الأمور في هذا المجتمع المنغلق على نفسه: سوف نقرأ ونناقش ما يكتبه بعضنا لبعضنا ونعجب به ونحضر حفلات توقيع وندوات بعضنا ونحتقر القراء والكُتاب المفهومين الناجحين، والعيب ليس في القارئ، بل فيمن انتزعوا الأدب من حياة الناس ليضعوه على أعلى رف في المكتبة كما فعل «إليوت» بالشعر. وبفضله — يقول النقاد الغربيون عن «إليوت» — صار الناس يخافون الشعر ويكرهونه بعدما كان سلوى حياتهم ومتعتهم.»

يستكمل العراب، «وبعد، ما هو الأدب؟ أعترف بأنني ضائع ولم أعد أتبين طريقي وسط هذا الضباب، برغم أن الطريق كان واضحًا تمامًا منذ عشرين عامًا.

لكني من حين لآخر أعود ليوسف إدريس، ومحفوظ، وتشيكوف، ودستويفسكي، وسومرست موم، وديكنز، ويحيى حقي، وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، لأسترجع تلك الجذوة المقدسة، ولأعرف معالم الطريق الذي يوشك على أن يضيع، بنفس المنطق الذي تبحث به عن العلامات البيضاء في وسط الطريق لتتقي «الشبورة».

سأكتب ما يروق لي وأدعو الله أن يروق للقارئ، وليقل من يشاء ما يشاء، حتى لو بحثوا في كتاباتي عن الجذمور فلم يجدوه. لقد وُجد الأدب قبل الجذمور ومن الواضح أنه سيبقى من بعده.»

«إن القراءة متعة حقيقة لمن يطلبها، وإنها تستحق كل ما كُتب عنها، فقد أضافت أعمارًا للقارئين وغيرت حياتهم للأفضل، وساعدت الإنسان على معرفة نفسه ومعرفة الآخر ومعرفة العالم كله.

كنا جيلًا مختلفًا لديه حصة للقراءة نذهب فيها للمكتبة المدرسية ونقرأ كتبًا أخرى لن نمتحن فيها. لم يفت الوقت أبدًا، على العكس، صارت الكتب متاحة بكل الأشكال، صارت المعرفة ممكنة بضغطة زر، لكن الأمر يحتاج فقط إلى أن تبدأ وأن تكتشف المدينة الهائلة.

هذا الكتاب يمنحك هذه الرحلة بكل سلاسة وجمال، فاستعد للقراءة واستعد للسفر عبر السطور.»

محمود عبد الشكور

هذه الكلمات الرائعة هي من تقديم الناقد السينمائي والكاتب الصحفي المعروف «محمود عبد الشكور» الذي أنصحكم بمتابعة صفحته الشخصية على فيسبوك، وتلك هي مقدمته لكتاب «شغف القراءة» للكاتب «إيهاب الملاح» والمحرر الثقافي والناقد المصري المعروف والعاشق لفكرة الثقافة والقراءة والكتابة ككل، أرشح لكم هذا العمل البديع للاطلاع والاقتناء أيضًا.

يستعين إيهاب الملاح في المقدمة الخاصة به بنصيحة والد محمود عبد الشكور الذي قال فيها، «**(اكتب كأن العالم كله سيقرأ لك، واقرأ كأنك الشخص الوحيد الذي كُتب له الكتاب.)** عناية فائقة في القراءة والكتابة معًا، وهكذا تكون الخبرة التي تميزنا كبشر. القراءة هي أثمن وأمتع وأجل ما نمارسه في هذه الحياة، أو ما أظنه كذلك.»

في واقع الأمر أرى مقدمة محمود عبد الشكور للكتاب بجوار مقدمة الكاتب نفسه للكتاب دستورًا عامًّا لمسألة القراءة ككل إن أحسنا فهم ما يريدون من هذا الكتاب. الكتاب غني بالمقالات الأكثر من رائعة، ولكن الحقيقة أننا سوف نلقي الضوء على بعض الأشياء المهمة في الكتاب دون الدخول في كل تفاصيل الكتاب. وأنا في اعتقادي كقارئ — وهذا قد يكون رأيًا شخصيًّا، أو هو غالبًا رأي شخصي — أن الثلث الأول من الكتاب هو ثلث خفيف وسريع الهضم، في حين باقي الكتاب يحتاج إلى قارئ متمرس نوعًا ما أو قارئ محب للقراءة والمقالات التخصصية.

في مقال بديع لإيهاب الملاح بعنوان «لكل شيخ طريقة، كيف كانوا يقرؤون»، يقول «د. ذكي نجيب محمود»، «اقرأ وكأن الذي معك ليس كتابًا من صفحات مرقومة بحروف وكلمات، بل كأنك تتحدث مع مؤلف الكتاب، اقرأ كأن الذي معك هو الرجل الحي يعرض عليك فكرته أو خبرته بصوت مسموع، ففي هذه الحالة ستجد نفسك مدفوعًا إلى مراجعته ومساءلته ومراجعته جزءًا جزءًا ومعنى معنى، وهكذا تكون القراءة الحية بفاعليتها الذهنية.»

أعتقد أن رؤية الدكتور زكي نجيب محمود هي ذاتها حلمي الشخصي في كيفية القراءة وفي قراءة هذا الكتاب بالذات، كتاب «متلازمة الصفحة البيضاء»، لأنني أصيغه على هيئة محاضرة، أتمنى أن تسمع صوتي وتتخيل أدائي الأوبرالي وأنا أكتب لك عزيزي القارئ.

يقول المفكر الكبير وأستاذ الفلسفة الراحل زكي نجيب محمود عن طريقته في القراءة وكيف يقرأ، أجاب قائلًا، «**لا تجعل من نفسك في أثناء القراءة شريطًا من أشرطة الكاسيت يتلقى ولا حيلة له فيما يتلقاه، بل تمهل هنا وقف هناك واسأل وحاور ووافق واعترض، فالذي معك هو إنسان حي بفكره ووجدانه، وقد يكون إنسانًا أطول منك باعًا وأقدر منك على الغوص وراء الحقائق، لكنك لن تبلغ منه كل ما تريد إلا إذا وقفت منه موقف الأحياء من الأحياء إذ يلتقون في دروب الحياة ومسالكها.**»

بينما يقول «عباس محمو العقاد»، الذي اشتهر بأنه من القراء النهمين، عن طريقته في القراءة بقوله:

«**وطريقتي في القراءة ألا أذهب مع الطرف في الصحيفة إلا ريثما أذهب مع الفكر بنفسي، فقد أتناول الكتاب أبدأ فيه حيث أبدأ إذا كان من غير**

الكتب التي يلتزم فيها الترتيب والتعقيب، فيستوقفني رأي أو عبارة تفتح لي بابًا من البحث والروية، فأمضي معها وأطويه فلا أنظر فيه بقية ذلك اليوم أو أنتقل منه إلى كتاب آخر. وأجد هذا التوجيه في أنفس الكتب كما أجده في أردئها، فلا أميز بينها في الابتداء ولا يكاد يستدرجني إلى المضاء في المطالعة غير موضوع يستوعب ذهني ويأخذ عليَّ المؤلف فيه باب الانفراد بالفكر دونه. فأما وقد عرفت رأيي في الكتب وطريقتي في المطالعة فهلم نقرأ.»

«ويلفت الفرنسي «دانيال بناك» في كتابه الممتع «متعة القراءة» إلى أن زمن القراءة كزمن العشق يزيد من طول زمن العيش، وأنه إن كان علينا أن نتعامل مع الحب من وجهة نظر برنامج عملنا اليومي، فمن كان سيخاطر ويعشق؟ من يملك الوقت ليكون عاشقًا؟ ومع ذلك، هل رأيت يومًا محبًّا لا يجد الوقت ليعشق؟ وتراه يؤكد أن القراءة كالحب، أسلوب حياة.»

الحقيقة أن رؤية ذكي نجيب محمود عبقرية وكذلك عباس محمود العقاد، في حين الفرنسي دانيال بناك في كتابه الممتع أتى لنا بتوصيف جديد، أن «**زمن القراءة مثل زمن الحب**»، هذا تعبير مدهش، مثلما أقول إن الكتابة صلاة تحتاج إلى الترتيب الذهني وإلى الصفاء الروحي وإلى التركيز معها وأنت مقبل عليها، فإن أيضًا الكتاب هو حبيبة سوف تجالسها وتستمتع بها، فيجب عليك أن تكون لديك الجاهزية لذلك. وهذه التشبيهات شديدة الأهمية لصناعة صورة ذهنية خاصة تليق بفكرة القراءة وقيمتها في حياتنا، وتليق بفكرة الكتابة وقيمتها وما تحتاجه لكي تتحول أفكارنا إلى عمل نص أدبي جدير بالقراءة، وببذل الجهد والوقت والمال للحصول عليه.

دعنا لا ننسَ أن طه حسين عميد الأدب العربي كان يطلق على القراءة «**زاد الشعب**» وكان يقول أيضًا طه حسين، «**ما نعرف شيئًا يحقق للإنسان تفكيره وتعبيره ومدنيته كالقراءة.**»

وعباس محمود العقاد كان يقول عن لماذا هويت القراءة، «**كلا، لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمرًا في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة، والقراءة وحدها دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب.**»

ويقول أيضا العقاد، «**الكتب كالناس منهم السيد الوقور ومنهم الكيس الظريف، ومنهم الجميل الرائع والساذج الصادق والأريب المخطئ، ومنهم الخائن والجاهل والوضيع والخليع، والدنيا تتسع لكل هؤلاء، ولن تكون المكتبة كاملة إلا إذا كانت مثلًا كاملًا للدنيا. يقول لك المرشدون اقرأ ما ينفعك، ولكني أقول بل انتفع مما تقرأ، إذ كيف تعرف ما ينفعك من الكتب قبل قراءته؟ إن القارئ الذي لا يقرأ إلا الكتب المنتقاة كالمريض الذي لا يأكل إلا الأطعمة المنتقاة، يدل ذلك على ضعف المعدة أكثر مما يدل على جودة القابلية.**»

ينتهي الاقتباس، وهنا مسألة العبقرية في فكرة الاطلاع بشكل عام.

نأتي لعمنا نجيب محفوظ حينما سئل عن النصيحة التي يجب أن يوجهها لشباب الكتاب، فأجاب، «ليس بيننا وصاية بمعنى أنني لا أنصح، لأن أجمل ما ينصح به للأجيال الجديدة ألا يستمعوا إلى نصيحة. إنما هناك

أمور تخرج عن نطاق النصائح وتشبه القوانين العامة، مثل دراسة فنك الذي قررت أن تتخصص فيه تراثًا ومعاصرة، ومثل الثقافة العامة، ومثل ما تحتاجه من صبر أمام تحديات غير عادية لم تعرفها الأجيال السابقة.»

وأيضًا الدكتورة سهير القلماوي تقول، «إن ما يميز الإنسان من الحيوان هو التفكير، وإن بعض الحيوان ليفكر بدرجة من الدرجات، لكن تفكير الإنسان أرقى وهو يصعد في سلم الرقي بقفزات تعلو وتعلو أبدًا، وسبيل هذا الصعود هو أن يبني الخلف على آثار السلف مما لا يمكن أن يتم في عالم الحيوان، وإنما هو يتم في عالم الإنسان ليس غير، ولا يمكن لهذا البناء أن يتم إلا بواسطة الكتب، فالكتب هي التي تدلنا على الدرج الذي ارتقى إليه الأقدمون لنرقى نحن فيما بعد.»

والأن نأتي لأهم المصادر التي نرشحها لمحبي القراءة والمتيمين بها، وهو كتاب «لماذا نقرأ؟» لنخبة من المفكرين، عن دار المعارف وهي من دور النشر العريقة تأسست سنة 1890 وهي من أهم دور النشر الموجودة في الوسط الثقافي. والكتاب له تاريخ، هذا الكتاب قديم للغاية والمتاح في الأسواق هي طبعة منقحة وجديدة منه بإشراف الكاتب الصحفي المعروف المحرر الثقافي إيهاب الملاح.

وفي المقدمة الخاصة بالكتاب إمضاء المحرر الخاص بدار المعارف:

«مني إليك: الكلمة المكتوبة حرية والتزام.

إن بينك وبيني ميثاقًا فيه حرية وفيه التزام. أما الحرية فللكلمة المكتوبة التي أنشرها، لي فيها حرية التأليف والترجمة، حرية الاختيار والتوجيه، حرية النقد، حرية الإخراج.. وأخيرًا حرية التوزيع. وأما الالتزام فهو أن أبحث عن الحقيقة فيما أكتب، وأن أنشد الحق فيما أدعو له، مع احترام

حرية الآخرين في الرد. حرية والتزام.. حق وواجب.. تفاهمت عليهما معك، وعملت بهما معًا أكثر من ثلاثة أرباع قرن، فمنحتني من ثقتك وإقبالك ما أقام لي هذا البناء الضخم الذي يشرف على النيل الأعظم في وسط القاهرة، ويغذي مكتبات العالم العربي بألوف من كتب العلم والثقافة.

وأنا أعرف أن العلم لا وطن له.»

هذه مقدمة لمحرر دار المعارف، ورغم أنها محررة مقدمة للكتاب، ولكني أراها دستورًا واجبًا لكل الناشرين، وميثاقًا هامًّا جدًّا يجب أن يكون بين الناشر والقارئ بشكل عام.

بمعنى أنه يجب أن تكون هناك حرية للكلمة المكتوبة، هذا شيء عظيم جدًّا، ولكن أعتقد أنه يجب أن يكون هناك التزام فيما أنشره كناشر، أن أتساءل دومًا عن جدوى ما أنشره، أن أتساءل دومًا عن حرية واحترام حرية الآخرين فيما أطرحه عليهم من أفكار ورؤى، أن لا أخجل من أخطائي في السابق وأتعلم مواجهتها ومعالجتها فيما بعد، لا ضير من المحاولة.

البعض سوف يهاجم هذا الحديث بأنه لا حدود للإبداع، ولا حدود للنشر، وهذه مسألة تخص كل كاتب وكل ناشر، لكن دعنا صديقي القارئ لأن نعي جيدًا أنه من الأشياء المغلوطة في ذهن القراء والكُتاب معًا أن دار النشر هي مشروع ثقافي غير ربحي أو مدعوم من الدولة، هذا غير حقيقي، دار النشر يا سادة هي مشروع تجاري بأوراق رسمية تجارية بحتة غير مدعومة من الدولة بأي شكل من الأشكال، وهناك العديد من مشاكل النشر سوف أتحدث عنها لكن ليس هذا موضوعنا، لكن أتحدث

عن أن الدولة لا تدعم هذا المشروع، ومن ثم يجب أن نعي جيدًا أن النشر هو مؤسسة تجارية. هل معنى ذلك أن ننشر أي شيء من أجل المادة، هل هذا معنى حديثك؟ بالطبع لا، لكن أتحدث بأنه إذا كان دار النشر هي مؤسسة تجارية فلها حساباتها الخاصة. لكن دعنا نتفق أيضًا أن لها دورًا تنويريًّا هامًّا، هذه المساحة أو هذا الدور يختلف من دار لأخرى حسب قوتها المالية وقوتها في التوزيع وعراقة عملها وخبراتها القديمة، لا يجوز أن نقارن بين دور نشر منذ مائة عام ودور نشر منذ عام أو عامين حتى ولو كان أصحابها لهم خبرة قديمة في مجال النشر أو التوزيع، لكن علينا جميعًا، على الجميع أن يكون هناك ميثاق خفي ما بين دار النشر والقارئ والكاتب: فالدار لا بد أن تتحسس جيدًا ما يجب أن تنشره وتتساءل عن جدوى ما تنشره، والكاتب عليه أيضًا أن يتساءل دومًا وماذا بعد؟ وماذا يريد من هذا العمل الذي يريد أن يقوم بنشره؟ وعلى القارئ أن يفرز هذا وأن ينتقي ذاك من كل ما كُتب ونُشر.

ويبقى القارئ في النهاية هو الحكم الأخير.

في مقالته البديعة «زاد الشعب» يقول عميد الأدب العربي د. طه حسين الآتي:

«زاد الشعب هو القراءة، يقبل عليها ويشبع بها جوعه إلى العلم والمعرفة وألوان الحضارة. إن الحث على القراءة خير ما يوجه إلى الأفراد والجماعات، في جميع الأمم والشعوب، وفي الشعوب العربية بوجه خاص، بل هو خير ما وجه إلى الانسان منذ تحضر إلى الآن.

ولقد بدأ نزول القرآن بفعل قصير خطير هو كلمة «اقرأ»، فكان أول ما خوطب به الرسول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وخوطب

به الناس من بعده هو هذا الأمر الكريم بالقراءة. وكان صاحب المنطق — كما يسميه الجاحظ — يقول، «إن الانسان حيوان ناطق»، وما نعرف شيئًا يحقق الإنسان تفكيره وتعبيره ومدنيته كالقراءة، فهي تصور التفكير على أنه أصل لكل ما يقرأ، وعلى أنه غاية لكل ما يقرأ، فالكاتب يفكر قبل أن يكتب وفي أثناء كتابته، والقارئ يفكر فيما يقرأ في أثناء قراءته، وبعد أن يقرأ.

ولكن الإنسان كسل بطبعه أيضًا، فهو مشوق بطبعه إلى الرقي ولكنه مدفوع بطبعه إلى حب اليسر وإيثار السهولة وتجنب الجهد الشاق إلى ما وجد إلى ذلك سبيلًا. وهو محب للقراءة ما في ذلك شك، ولكنه يريد أن تيسر له القراءة، ووجوه التيسير كثيرة مختلفة، أخطرها وأعظمها ضررًا هو الذي يشيع وينتشر مع الأسف الشديد، فالكلام السهل اليسير المبتذل القريب الذي ينتشر في الصحف السيارة التي يكفي الإنسان أن يمد يده ليتناولها، وفي الكتب الرخيصة التي يحصلها القارئ دون أن يشق على ماله ويقرؤها دون أن يشق على عقله — هذا الكلام هو الذي يتهافت عليه القارئ بحكم هذه الخصلة الطبيعية في تكوينه، وهي خصلة الكسل، وإيثار الهين من الأمور. فلا بد إذًا أن تقاوَم هذه الخصلة ما استطاع المثقفون مقاومتها، ولا بد من أن تقرَّب القراءة الممتعة الخصبة إلى الناس حتى يستطيعوا أن يقرؤوا في غير مشقة على عقولهم ولا على أموالهم.»

وهنا ينتهي حديث عميد الأدب العربي عن القراءة.

وهنا مسألة شديدة الأهمية في أكثر من اتجاه، فعلى المستوى الديني إن رسالة الإسلام والقرآن بفعل وأمر «اقرأ»، فبالقراءة ومن خلالها ممكن

أن تعي كل شيء، هذه مسألة شديدة الأهمية والإشارة إليها في مقال طه حسين شديدة الخطورة، أن نعي حجم وأهمية القراءة التي نستخف بها على الدوام. ونقطة أخرى يفجرها عميد الأدب العربي هي فكرة أن الناس تركن إلى اللغة العامية، وهذا كان تخوفه في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، فإن كان حيًّا الآآ فالطامة أكبر وأشد وجعًا. للأسف الشديد هناك شريحة من القراء الآن تركن أكثر إلى فكرة الاستسهال واللغة العامية مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والسوشيال ميديا، نجد الكثير من الكتب الأكثر مبيعًا هي عبارة عن بوستات على فيسبوك أو مقالات باللغة العامية أو اللغة السهلة، ونحن كناشرين نعرف أن الدورة الحياتية لهذا النوع من الكتب لا تستمر أكثر من عام أو عام ونصف حسب عدد نوع المتابعين للكاتب، ولكن القيمة الأدبية لهذا العمل لا تعيش، في حين على الضفة الأخرى من النهر دورة حياة الأعمال التي تكون باللغة العربية الفصحى والأعمال الجيدة أدبيًّا قد تعيش عشر سنوات وعشرين عامًا ومائة عام أيضًا، فنجد أن أعمال محمد حسين هيكل وطه حسين والعقاد والرافعي وغيرهم بعد عدة عقود ما زالت تُقرأ ولها قيمة وسوف تظل دورة حياتها مستمرة لفترات طويلة قادمة من الزمن، وكذلك دورة حياة الأعمال الأدبية القوية الحالية أكبر، مع اختلاف العصر واختلاف القراء. ويذكرني قول طه حسين بإنتاجه الأدبي العبقري، فأنا كقارئ جيد — كما أزعم — تربيت على قراءات الرجل المستحيل للدكتور «نبيل فاروق» ثم جميع أعمال «إحسان عبد القدوس» و«يوسف السباعي» فكنت ألتهمها التهامًا، خاصة أعمال يوسف السباعي، وعندما اصطدمت بكتابات طه حسين كانت هناك نقلة نوعية لي كقارئ، ففي أعمال يوسف السباعي التي ما زلت أحبها

وتميل إليها نفسي بحكم طبيعتي الشخصية، أستطيع أن أقرأ بسرعة، إنما في أعمال طه حسين لا أنسى أني قرأت له أحد عشر مجلدًا في حوالي أسبوع أو أكثر حينما تعرفت على أعماله من شدة عبقريتها، لكن كنت أقرأ في البداية السطر ثم أتقدم في القراءة ثم أتوقف وأراجع نفسي وأقرأ السطر مرة جديدة، مرة تلوها المرة حتى أتبين المعنى، فلا تستطيع مع أعمال طه حسين أن تقرأ بسرعة وتطوي الأسطر، سوف تصاب ببعض الصداع في البداية، أو بمعنى أدق يجب أن تكون جادًّا في قراءة أعمال طه حسين ومتريثًا وبطيئًا جدًّا حتى تعي هذه اللغة الجديرة بالقراءة والتمعن. وإذًا، فأنا أيضًا من أنصار اللغة العربية الفصحى ومن أنصار أعمال العربية القوية التي تعيش فيما بعد. ولعل مقالة أو تقديمة توفيق الحكيم في كتاب «لماذا نقرأ» لا يمكن التعقيب بعدها، ودومًا أستعين بالروائية هدى أنور في المعتكف الكتابي للوقوف وقراءة هذا النص بصوت عالٍ على الحضور ونكتفي بما في النص من قيمة ونترك التعليق للسادة الحضور في المعتكف الكتابي، وها أنا أقوم بنفس التجربة مرة أخرى وأترككم مع هذا النص البديع وأترك لخيالكم الخاص تلقي معناه ومضمونه. يقول توفيق الحكيم:

«***للمسرحية عندي اعتبار خاص***، ذلك لأن الحوار — بما فيه من إيجاز وتركيز — هو القالب الأدبي القريب إلى سليقتي المحبة للنظام؛ فالفن عندي نظام، والنظام عندي هو الاقتصاد، أي البيان بلا زيادة ولا نقصان. ربما كانت هذه الطبيعة عندي ميراثًا قديمًا، من أثر رواسب شخصيتنا العتيقة؛ فالعرب كانوا يرون البلاغة في الإيجاز، ومصر القديمة كانت ترى البراعة الفنية في البناء والتركيز: فالهياكل الكبرى آية من آيات التصميم الهندسي الدقيق، والتماثيل العظيمة آية من آيات التفكير المركز

ببساطة في الحجر المجرد. من كل ذلك عنيت دائمًا بقراءة أعلام الأدب المسرحي، لا قراءة متعة ولذة واستطلاع فقط، بل قراءة درس وتأمل وفحص، فكنت أقضي الساعات أمام نص من النصوص، أقلب فيه منقبًا عن أسرار تأليفه ومفاتيح تركيبه، مستخلصًا — بنفسي ولنفسي — ملاحظاتي في طرائف التأليف المسرحي، ذلك الفن العسير، الذي أحببته أيضا لأنه عسير. فما أزهد في شيء زهدي في الفن السهل الذي لا يحتاج إلى مؤونة وتجربة وغوص ودرس، وما أبجل شيئًا تبجيلي للفن الذي يصمد، كالصخرة في طريق الفنان، فما يزال به يعالجه: بالصبر الطويل والكد المضني، حتى يفجر منه الماء السلسبيل.»

ومن عميد الأدب العربي إلى توفيق الحكيم ثم عباس محمود العقاد الذي يقول في إجابته عن السؤال: لماذا هويت القراءة؟

«**أول ما يخطر على البال حين يوجه هذا السؤال إلى أحد يشتغل بالكتابة**، أنه سيقول: إنني أهوى القراءة لأنني أهوى الكتابة، ولكن الواقع أن الذي يقرأ ليكتب وكفى هو موصل رسائل ليس إلا، أو هو كاتب بالتبعية وليس كاتبًا بالأصالة، فهو لو لم يسبقه كُتاب آخرون لما كان كاتبًا على الإطلاق، لو لم يكن أحد من قبله قد قال شيئًا، لما كان عنده شيء يقوله للقراء.»

وكذلك يقول العقاد، «لا أحب الكتب لأنني زاهد في الحياة، ولكنني أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني. ومهما يأكل الإنسان فإنه لن يأكل بأكثر من معدة واحدة، ومهما يلبس فإنه لن يلبس على غير جسد واحد، ومهما ينتقل في البلاد فإنه لن يستطيع أن يحل في مكانين، ولكنه بذات الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيوات في عمر واحد،

ويستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل، وتتضاعف الصورة بين مرأتين.

والكتب المفضلة عندي هي كتب فلسفة الدين، وكتب التاريخ الطبيعي، وتراجم العظماء، وكتب الشعر.

إنني أقرأ هذه الكتب وأعتقد أن العلاقة بينها متينة، وإن كانت تفترق في الظاهر، لأنها ترجع إلى توسيع أفق الحياة أمام الإنسان.

فكتب فلسفة الدين تبين إلى أي حد تمتد الحياة قبل الولادة وبعد الموت، وكتب التاريخ الطبيعي تبحث في أشكال الحياة المختلفة وأنواعها المتعددة، وتراجم العظماء معرض لأصناف عالية من الحياة القوية البارزة، والشعر هو ترجمان العواطف، فإنني أفضل من الكتب كل ما له مساس بسر الحياة.»

ينتهي هنا الاقتباس ولا يجوز لنا أن نعلق على قامة مثل قامة العقاد، ولكن من الأشياء العظيمة التي طرحها والجديرة بالتركيز الحقيقة هي فكرة «موصل الرسائل»، الكاتب بالتبعية، القصد هنا هام جدًّا، أن يكون هناك لونك الشخصي ولونك الخاص في الكتابة، تقرأ لتزداد معرفة ولتزداد تجاربًا وتثقل موهبتك، لكن في النهاية وفي كل الأحوال يجب أن يكون لك طابعك الخاص وقلمك المميز بك أنت وقضيتك الخاصة التي تريد طرحها.

وأيضًا أشار العقاد لفكرة أن البعض، من يزهد في الحياة يحب الكتب، وهذا خطأ وخطأ شنيع أراه عند الكثيرين من القراء الجيدين، العديد من القراء الجيدين الأصدقاء يحاولون الهرب من الدنيا والاحتكاك بالآخر والعالم الخارجي ويجدون في الكتب خلاصهم، الحقيقة هذا استخدام

خاطئ للقراءة، وأحيانًا استخدام خاطئ للدين، فكثيرًا ما أجد أن العديد من الناس يود أن يهرب من الحياة ومن مشاكلها، ومن مواجهة الناس، والتعمير في الأرض والعمل والسعي والنجاح، وكل هذه التحديات، فيهرب إلى الدين والتدين المظهري ويخدع نفسه ويسجنها في قوقعة الدين. وكذلك في القراءة، أجد العديد من يقرأ بنهم ثم يعتزل العالم ظنًّا منه أن نتاج القراءة هو المزيد من الوعي الفردي وأنه سيصبح لديه مستوى معين من الوعي والعلم، فالعالم أحمق سيئ لا يجب أن نعيش فيه أو ننشغل به وعلينا أن نسجن أنفسنا في قوقعة ووهم «أنا رجل أعي كل شيء!» وتلك حماقة من وجهة نظري، فكما قال العقاد وأكد أنه لا علاقة أبدًا بين الزهد وبين حب القراءة، بل يجب أن تجعلنا القراءة أكثر بهجة وأكثر معرفة بالحياة التي تدور حولنا، وإن حتمية المشاكل فيها أمر شديد الأهمية.

فن القراءة

وعن مرضى الاحتفاظ بالكتب والاهتمام الشديد بها، سواء في صناعتها إن كنتم كُتابًا أصحاب تجربة أولى، أو قراء متيمين بالكتب وورقها وأغلفتها، دعونا نستمتع معًا بحديث «د. حسين فوزي» في مقال له بديع بعنوان «**القراءة فن**»، يتحدث عن متعة اقتناء الكتب بشكل مهم وبشكل معين:

«كان لي في أيام الصبا صديق من أهل النعمة واليسار، ألف بين قلبينا حب الكتب، إلى غيرها من فنون التغيير والتشكيل. وكان إذا اشترى كتابًا، وجلسنا إليه، فتحه ثم رفعه إلى قرب أنفه.. ليشمه!

أثارت تلك الحركة استغرابي، فأردت أن أفهم معناها بالممارسة بعض الوقت، فإذا للكتب الجديدة عبير خاص محبب للنفس، قد تفقده لتكتسب روائح أخرى.. ترابية في القاهرة، أو زنخة في الإسكندرية. ورائحة الكتب تختلف تبعًا لنوع ورقها ممزوجًا بحبر طباعتها، قارن بين الكتب الصفراء والكتب المطبوعة على ورق فاخر. وفي سنوات ما بعد الحرب الأخيرة، عبرت بأنفي رائحة الكتب الأجنبية في الطبعات الرخيصة (كتب الجيب وما إليها)، مصدرها فيما أظن مادة البلاستيك اللامعة التي تكسو أغلفتها. المهم أن حركة صديقي الغريبة كشفت لي عن إحساس «القارئ الفنان» بالميل الشديد إلى الكتاب، كمجرد كتاب، ونبهني إلى أني

ولو لم أكن أشم كتبي الجديدة، فإني أقلبها، وأتأملها من قرب ومن بعد، كعوبها وحروفها المذهبة، أتحسس ورقها، وأفر صفحاتها، أقف بفصل هنا وفصل هناك، وأطيل النظر إلى الفهرست، والصور.

ثم كان لي صديق بمدينة تولوز — المرحوم الكاتب حسن صادق — يهوى الكتب في طبعاتها الفاخرة، وتجليدها المترف، وكان إلى هذا قارئًا عكوفًا، لم يكن يبخل على إعارتي ما شئت منها، فتعلمت أشياء خاصة بأصناف الورق الغالي، كالفولان والهولاند والجابون ... إلخ، وبقيمة ما يُعرف بالطبعة الأصلية، وتبلغ أسعارها مبالغ خيالية في كتب القرون السالفة، والغالب أن يصدر منها عدد من النسخ المرقمة من واحد إلى عشرة مثلًا، في أفخر أوراقها، ومن 11 إلى 100 لما يتلو ذلك من الورق الممتاز، وهكذا حتى رقم 300 أو 400.

ولقد تكلفت بنشر أول كتاب لي، فاخترت ورقًا جيدًا للنص، وورق كوشيه للصور، وذهبت إلى خطاط كبير ليكتب لي صيغة التقديم وعنوانات الكتاب وفصوله، آثرت لها الخط الفارسي الذي عشقته منذ نعومة أظافري، وفي كتابي الثاني «حديث السندباد القديم» قدت الخطاط إلى مسجدي قلاون والناصر محمد، وطلبت منه أن يكتب العنوان واسم المؤلف بالخط المملوكي الذي زُينت به الأفاريز الخارجية والداخلية.

وكان صديقي المرحوم محمود طاهر لاشين، رائد القصة المصرية القصيرة، يعجب من هذا التصرف، فأقول له هازلًا، (هبني أصرف على زفة ختان ولد لي!)»

والجاحظ يقول، الكتاب وعاء مُلئ علمًا، وظرف حُشي ظرفًا، وبستان يُحمل في ردن، وروضة تُنقل في حِجر، وناطق ينطق عن الموتى، ويترجم

عن الأحياء. ولا أعلم رفيقًا أطوع، ولا معلمًا أخضع، ولا صاحبًا أظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا أكثر أعجوبة وتصرفًا، ولا أقل تصلفًا وتكلفًا، من كتاب. ولا أعلم قرينًا أحسن موافاة ولا أعجل مكافأة ولا أحضر معونة ولا أخف مؤونة، ولا شجرة أطول عمرًا ولا أطيب ثمرة ولا أقرب مجتنى، من كتاب. ولا أعلم نتاجًا في حداثة سنة وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده، يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغربية، ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القويمة والتجارب الحكيمة، وإخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة، ما يجمع لك الكتاب.

لماذا نقرأ لطائفة معينة من المفكرين إذًا؟ ستجد معهم روائح الأدب الجاد وجماليات الزمن الراحل، وستجد هناك أفكار ورؤى أساتذة ورواد الأدب في مصر وستتعلم الكثير منهم، وستجد الكثير من الإجابات عن الأسئلة الأبدية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر لماذا نقرأ، وكيف نقرأ، وما السبل التي تجعلنا نُقبل على القراءة، وما الفائدة من القراءة؟

كل هذه الأسئلة العظيمة ستجد عنها إجابات شافية، في هذا الكتاب الشافي.

والآن إلى مصدرنا الرابع لنا ولحديثنا، ألا وهو كتاب «الحكاية وما فيها» للكاتب المعروف محمد عبد النبي.

يقول محمد عبد النبي في كتابه البديع «الحكاية وما فيها»، وهو بالمناسبة من الكتب العظيمة في شأن الكتابة والثقافة والقراءة، وإن كنت أراه يحتاج منا إلى مزيد من التركيز عند مطالعته، ويحتاج أيضًا أن تتصفحه جيدًا وأن تدرسه لا أن تقرأه فقط، وأن يكون رفيقك القلم والورقة البيضاء.

في البداية يقول محمد عبد النبي:

«**انتبه، الكتابة لعبة ممتعة، ولكن يجب ممارستها بمنتهى الجدية.**»

هذا أول نص نجده في الكتاب بعنوان «أولى خطوات الرحلة»، وفي شأن آخر في الثلث الأول من الكتاب هناك مقولة رائعة لـ«فريدريك نيتشه» يقول، «**لا يوجد أكثر جدية من الطفل في لعبه.**» هذه مسألة شديدة الأهمية وإن كانت الجملتان إلى حد كبير نفس المعنى، ولكنهما تنبهانا كثيرًا إلى فكرة أنك يجب أن تلعب وتستمتع، ولكن يجب في نفس الوقت أن تكون جادًّا كما قلنا من قبل، ولو كان لديَّ خيار في تغيير اسم هذا الكتاب لكان العنوان «**خذ نفسك على محمل الجد**»، هذه القاعدة من أهم القواعد التي تجعلك تستطيع أن تنجز شيئًا ما في حياتك سواء كان في عالم الكتابة أو خارج عالم الكتابة.

نعود معًا إلى محمد عبد النبي الذي يقول في مقدمة كتابه البديع:

«أغلب الظن أنك كاتب، كاتب بالفعل أو بالقوة، كاتب ينتظر اللحظة المناسبة أو يكافح لاكتساب وتتين أدواته وتقنياته. هذا الكتاب موجه لك تمامًا، غير أنه لن يمنحك عصا سحرية ستجعل منك كاتبًا مرموقًا بمجرد الانتهاء منه، غاية ما هنالك أنه سوف يشجعك على ممارسة الكتابة بانتظام وفي إطار منهجي، وبالتدريج خطوة بعد أخرى.»

وهذا ما نؤكد عليه دومًا، لا يستطيع أحد أن يجعل منك كاتبًا، إلا إن كنت موهوبًا بالفعل. ولكن إن كنت موهومًا، فقد تستطيع من خلال حضور بعض ورش الكتابة، ومن خلال التحفيز، ومن خلال كثرة دور النشر، ومن خلال تعلم بعض تقنيات الكتابة، أن تكتب العديد من القصص أو تشترك في كتب جماعية أو تحضر حفلات توقيع، أو تستطيع أن تكتب مجموعة قصصية أو رواية، سواء كانت جيدة أو ضعيفة أو مفككة، تستطيع أن تنشرها بسهولة وتستطيع أن تكون ملكًا في حفل التوقيع الخاص بك؛ ولكن كل ذلك لا يصنع منك كاتبًا حقيقيًّا لديه مشروع روائي أو أدبي يكتب الرواية تلو الأخرى، هذا لا يستطيع أحد أن يصنعه سوى أن تكون صاحب موهبة بالفعل. لكن هذا النوع من الكتاب وغيره من المصادر التي يستعين بها هذا الكتاب، مصادر مرئية أو سمعية أو مقروءة، كل هذه هي مجرد إرشادات وعلامات تقول لك «الطريق من هنا»، هنا يجب أن تعمل، هنا يجب أن تُجِد، هنا عوامل مساعدة. لا نستطيع أن نجعلك تكتب كما لا يمكن أن نستطيع أن نجبر النحلة على إنتاج العسل طالما أن ليس لديها الغذاء الكافي ولا الطريقة لاستخراج هذا العسل، أو ألا تكون نحلة في الأساس.

نعود للكاتب محمد عبد النبي الذي يطرح نقطة شديدة الأهمية عندما يقول:

«من يستطيع الادعاء أننا لسنا بحاجة إلى موهبة أو درجة من الاستعداد المبدئي لممارسة أي نوع من الفنون، أو حتى بعض المهن التي تحتاج إلى مهارات خاصة؟ غير أنه لا يوجد فن في غنى عن التدريب لممارسته، من العزف الموسيقي إلى التمثيل، مرورًا بالغناء والرقص، وهو ما يقره الجميع تقريبًا. ولكن حين يتعلق الأمر بالكتابة، ستلاحظ الامتعاض والنفور إزاء مبدأ التدريب والتعلم، كأن الإنسان إما أنه يولد كاتبًا كبيرًا وإما أنه لن يستطيع أن يكتب سطرًا جيدًا أبدًا، وهي أسطورة علينا هزيمتها بداخلنا الآن وفورًا. إن تعليم الكتابة الحقيقي لا يفرض على المتعلم أي شكل أو أسلوب لكتابته، بقدر ما يمنحه الأدوات اللازمة لاكتشاف صوته الخاص وتطوير أسلوبه وامتلاك التقنيات، بصرف النظر عما سينتجه بنفسه بعد امتلاكه أدواته.»

وهذه نقطة شديدة الأهمية، فهناك فريق وصل إلى النعمة ويريد أن يحبسها أو يسجنها عن الآخرين، «أنا أصبحت كاتبًا ولديَّ الكثيرون من المتابعين، ما دوني هؤلاء مجموعة من الحمقى»، هذه نظرية سائدة في الوسط الثقافي بشكل ما، علينا أن نعترف بذلك، ولسنا ضد ذلك. والكثيرون يرون أن الكتابة موهبة فقط، وهنا الاختلاف، وهنا التطرف بين هذا وذلك. الموهبة قد تكون موجودة، لكن علينا أن نهذبها ونثقلها ونتعلم ونقرأ لمدارس مختلفة في صناعة الرواية وفي تقنيات الرواية وغيرها لكي نتعلم وننتج بشكل أفضل، فأنا أتفق مع نظرية أن الموهبة وحدها كثيرًا لا تصلح فقط لصناعة مبدع.

يقول عبد النبي، «استفدت من كل ورشة ومن كل مدرب تعاملت معه في جميع تلك الورش، لكن كان عليَّ أن أطور أسلوبي الخاص فيما بعد وطريقة عملي، وأن أضع ما يشبه المنهج، الذي لم أخترعه بالطبع بقدر ما استقيته من مصادر مختلفة ثم صغته في صورة مبسطة، بطريقة تتيح لي أنا — قبل الآخرين — أن أستمتع وأستفيد وأتطور. كل ما تفعله الورش، وكل ما يحاول هذا الكتاب أن يقدمه، هو التشجيع على العمل والإنتاج في إطار منظم، بعيدًا عن أهواء المبدع ونزق تجلياته وتقلباته، واستسلامه لأوهام الوحي وانتظار الإلهام.

الكتابة عمل، وككل عمل آخر، يحتاج إلى ممارسة وانتظام وتأمل وتطوير، من هنا تأتي أهمية الورش مبدئيًّا، ثم الرغبة في التطوير والتعلم والممارسة بعد ذلك. دوري المبدئي، في الورش وهنا أيضًا، أن أكون همزة وصل بين المتدرب أو القارئ وبين خبرات وتجارب لم أخترعها بل استقيتها من مشارب مختلفة.

ومع ذلك، لا بد أن نعترف بأنه لا توجد ورشة — أو كتاب — يمكن أن تصنع كاتبًا من نقطة الصفر، أقصى ما يمكن تحقيقه أن نمد له طرف الخيط، أن نبين له الاتجاهات الأساسية، أن نمنحه وصلة هادية، حتى لو استغنى عنها بعد وقت وآثر الإبحار في المجهول. لا شيء يصنع كاتبًا إلا ممارسة فعل الكتابة ذاته، أي النزول إلى البحر، ومناوشة الموج، يومًا بعد آخر، وسطرًا بعد سطر.»

أحيي عبد النبي وأتفق معه تمامًا في كل حرف قد سرده في كتابه، ونقطة شديدة الأهمية أخرى نود أن نسجلها هنا لأننا سوف نتحدث لاحقًا عن بعض فنيات الكتابة، وهذه المسألة أعتقد أنه من الحماقة أن

نتحدث ونكتبها، ومن نحن لنتحدث عن تقنيات الكتابة! ولكن كما قلنا، هي إشارات على الطريق.

يقول عبد النبي، «أكثر من مرة، خلال فصول الكتاب، سوف تلاحظ تأكيدي على أن المادة الواردة حول كل جانب من جوانب اللعبة السردية ليست إلا مبادئ أساسية تمامًا، الجهل بها خطيئة، ولكن الاكتفاء بها خطيئة أكبر.»

هذه الجملة عليك صديقي القارئ — لو معك ورقة وقلم — أن تكتبها.

«المبادئ الأساسية للعبة السردية، الجهل بها خطيئة، ولكن الاكتفاء بها خطيئة أكبر.»

عليك أن تعلم وتتعلم، وهذه المادة مجرد مبادئ عامة تختلف من كاتب لآخر. حينما تسمع هدى أنور وهي تتحدث عن صناعة الرواية في المعتكف الكتابي، تختلف حينما تسمع الكاتب «محمد الجيزاوي» وهو يتحدث في بعض الورش التي يقوم بها مجانًا، تختلف حينما تسمع الروائي الكبير «إبراهيم عبد المجيد» وهو يقوم ببعض الورش الأدبية، وغيرهم من الكتاب. المبادئ قد تكون قريبة بعضها من بعض، اللغة، المفتتح، العنوان، الحبكة، التيمة، الشخصيات، الحوار، وغيرها من مقومات صناعة الرواية، ولكن تبقى لغة المحاضر وثقافة المحاضر وقلم المحاضر تختلف من شخص إلى الآخر. لكن الاكتفاء بما نعرف خطيئة، يجب أن تبحث وأن تقرأ.

ويؤكد عبد النبي على نقطة شديدة الأهمية أخرى حينما يقول، «إذا كنت كاتبًا متمرسًا، وله كتب منشورة، فقد ترى في كثير من مواد هذا الكتاب

بديهيات ساذجة، لا حاجة لتكرارها، لكني أرجو أن تجد فيه أيضًا محفزات على العمل بطرق جديدة ومختلفة عما صرت مطمئنًا إليه الآن.»

أنا أفهم جيدًا من عبد النبي أنك إذا كنت كاتبًا محترفًا فلا داعي لأن تستمر في قراءة هذا الكتاب فلن تجد فيه الكثير مما لا تعرفه، فأنت لست الفئة المستهدفة بهذا الكتاب، كتاب «الحكاية وما فيها».

الآن نتطرق إلى بعض تقنيات الكتابة، وهذا مجال يجب أن نكون حذرين فيه لأن فيه الكثير من الضباب إلى حد ما، وإلى جانب هذه المعلومات القادمة أرى أنه من الأفضل أن تحضر ورشة لمحمد عبد النبي وتستمع إليه أو أحد الكتاب، وتستمع إليه بشرح مستفيض، حتى يكون هناك وقت يتسع لذلك، وحتى تأخذ المسألة على محمل الجد، ولكن نحن هنا سوف نساعدك بإلقاء بعض الحجارة في المياه الراكدة كنوع من الدردشة وليس على سبيل التعلم والتعليم، لأننا نؤمن أن مسألة التعليم تحتاج إلى أكثر من قراءة كتاب، تحتاج إلى الخروج إلى الشمس والاحتكاك بالآخر، وحضور العديد من ورش الكتابة وغيرها لمزيد من التعلم ومزيد من الاستيعاب. وعلى كل حال سوف نلقي بعض الضوء على بعض الأفكار الجيدة في هذا الكتاب، وإن كنا نرى أن ما نتحدث عنه في هذا الكتاب لن يوفيه حقه وأن الحل الوحيد الذي نراه صائبًا هو أن تقتني هذا الكتاب، وهو بالمناسبة موجود في نسخته الإلكترونية، وموجود بالمجان على موقع مؤسسة هنداوي العريقة، وموجود أيضًا مطبوعًا يمكن أن تحصل عليه بالتواصل مع مؤسسة هنداوي وسوف يتوفر لك إن رغبت في اقتنائه، وأرشحه لكم بقوة. والآن ندخل إلى بعض التقنيات التي يتحدث عنها محمد عبد النبي. الذي نراه أنه من أهل مكة، وأهل مكة أدرى بشعبها،

وهو كاتب حاز على العديد من الجوائز، وله اسم مرموق في الوسط الثقافي، وكذلك كان يقدم ورشة الكتابة الإبداعية «الحكاية وما فيها» منذ عام 2009 وحتى الآن. والآن ندخل إلى بعض التقنيات التي أشار إليها في كتابه.

«الكلمات المفاتيح»

يقول محمد عبد النبي:

«الكلمات المفاتيح، إنها كلمات تفتح أبوابًا، تفضي تلك الأبواب بدورها إلى غرف ودهاليز ورحبات، ثم طوابق، وربما ممالك وعوالم.

إنها كلمة قد تومض في الذهن فجأة وسط الضجيج والزحام لتفجر الشرارة الأولى لنصك الأدبي، وكل كلمة طرف خيط، ما عليك إلا أن تمسك بهذا الطرف وتسحبه إليك، أو تتبعه حتى تصل إلى مبتغاك. النص؟ القصيدة؟ القصة؟ الرواية؟ ولعل تلك الكلمة تكون اسم علم (كليوباترا) أو اسم شيء (الساقية) أو فعلًا (يتعرى) أو صفة (بخيل) أو حالًا (مسرعًا)، والاحتمالات بلا نهاية تحت كل فئة من هذه الفئات، لكن «الكلمة المفتاح» تبقى بؤرة في المركز تمد من حولها بأشعة وخيوط في اتجاهات عديدة كأنها بيت العنكبوت.

وثمة طريقة أقرب إلى الرسم منها إلى التداعي اللفظي الحر، وهي أن ترسم دائرة في منتصف صفحة بيضاء كبيرة، وتكتب في قلبها كلمتك المفتاحية، وكأن هذه الدائرة هي شمس صغيرة تخرج منها مجموعة من الأشعة، وكل شعاع ينتهي بدوره بدائرة أخرى بداخلها كلمة جديدة تفرعت عن الكلمة الأم، فلو كان مركز الدائرة (كليوباترا) يمكن أن تمتد منه كلمات مثل تاريخ، وسجائر، وإليزابيث تايلور، وغرام، وأنطونيو،

وحتى عبد الوهاب. فهنا يرتسم أمامك أفق كامل من الدلالات، ودورك هو تبيين العلاقات وعقد الصلات بين تلك الأطراف الشعثاء المتباعدة، أن تلملمها في روابط وعبارات واحتمالات.

لو راجعنا فقرة عبد الحكيم قاسم التي تقول، (أعيش لحظة عقيمة، الورقة مطروحة أمامي منذ آن لا تبرق في آفاقي بارقة، لا أظفر بشئ ولا بكلمة أفتتح بها خطابي إليك، فإن الأمر لديَّ كامن في كلمات مفاتيح ما إن أستأنف واحدة وأصففها في مستهل الصفحة حتى تنزل عليَّ شآبيب الكلام، لكن اللحظة عقيمة. لقد شبعت في السقف تحديقًا وفي الخواطر تقليبًا، تنهدت كثيرًا ولا يفتح الله عليَّ بشيء. قلت إذًا فلنكتب عن اللحظات الغبيات العواقر.)

سنجد عبد الحكيم قاسم قد نجح في الفرار من عقم اللحظة التي لا يجد فيها كلمة مفتاحية تنجده، بمواجهة هذا العقم نفسه، وبالكتابة عن «اللحظات الغبيات العواقر»، وهذه حيلة في غاية من البراعة يمكنك أن تنفذها أحيانًا بأن تمسك بالكلمة التي تضايقك ثم تفككها وتتداعى معها، وأن تكتشف أفق دلالاتها. فلتكتب عن العجز عن الكتابة حين تشعر به يدق بابك، وسرعان ما سيتحول شبح العجز هذا إلى تدفق ووفرة وطاقة.»

وينصحنا عبد النبي بنصيحة هامة ويقول، «احتفظ معك على الدوام بدفتر صغير لتلعب فيه مع مفرداتك أو لتدون به سريعًا الخواطر والأفكار العابرة التي سرعان ما تذوب في زحمة المشاوير وصخب الدنيا، سيكون هذا الدفتر هو بنك أفكارك ومغارة الكنوز الخاصة بك عندما تخلو إليه في الليل. لا تعتمد على الذاكرة، لأن الأمر كما قال كونفوشيوس

(إن أضعف حبر يُكتب به شيء على الورق لهو أقوى من أفضل ذاكرة إنسانية.)» ولعل نفس النصيحة من العراب لمواجهة السدة الكتابية في كتاب «اللغز خلف السطور» أيضًا فكرة القصاصة والورقة والقلم أو استعمال الموبايل أو أيًّا كانت الوسيلة التي تستخدمها، يجب أن تسجل الكلمات المفاتيح التي تأتي إلى ذهنك أو الأفكار والعناوين الرئيسية.

وإن كان القصد هنا بالكلمة المفتاح — كما أكد عبد النبي — هي كما يقال في الصحافة «المانشيت العام» ومن حوله تنزل العناوين الفرعية، أو كأنه رأس شجرة ثم تنزل من أسفل هذه الشجرة وريقات وثمار وفروع وتتداعى المسألة، لكن التوصيف الأدق للكلمات «المفاتيح» كما أكد عبد النبي، وهو تمرين شديد الأهمية.

وإلى نصيحة أخرى وتقنية ثانية يتحدث عنها عبد النبي في كتابه المهم، فتحت عنوان «سحر الكتابة الحرة» يقول، «إليك واحدًا من أهم كنوز صندوق أدوات الكتابة، وهو:

(الكتابة الحرة)

«الكتابة الحرة هي أداة الهدف من استخدامها أن تضع على الورق أمامك أي شيء يخطر في بالك وقت الكتابة (أي شيء بمعنى أي شيء) لمدة محددة من الوقت، عشر دقائق مثلًا، أو لعدد محدد من السطور أو الكلمات، 20 سطرًا أو 200 كلمة، الهدف أن تكتب فحسب في دفقة متواصلة، سواء انطلاقًا من كلمة أو فكرة أو شخصية أو حتى قطعة موسيقية أو لوحة فنية، والاحتمالات كما هي العادة بلا نهاية. أو دون أن تنطلق من أي شيء بالمرة، من البياض المحض، كل ما هناك أن يتحرك قلمك ببساطة وبسرعة على الصفحة.

من الضروري كبح أي صوت نقدي قد يبرز في رأس الكاتب ولو ألح هذا الصوت واستمر في الظهور، فبعض الكتاب ينصحون باستخدامه ووضعه هو الآخر على الورق والتسلل من حوله للعودة من جديد لمسار الأفكار. وبعد أن كانت اليد ثقيلة في السطور الأولى أو جلسات الكتابة الأولى، تخف وتتطاير كأنها تكافح لتلحق بتيار الأفكار المتتابعة في الذهن. وبعد أن كانت الصورة غائمة ومشوشة، نراها بعد فترة من الممارسة وقد انجلت ووضحت معالمها وتفاصيلها، حتى إننا قد نشعر في لحظة ما أننا لا نكتب بل نكتشف، لا نبدع من عدم، بل فقط نمر بأصابعنا على سطور مكتوبة سلفًا من زمان بحبر سري بداخلنا وما علينا إلا أن نكشف عنها النقاب.

اهزم خشيتك من السطحية أو السذاجة، اكتب فحسب، فلن يطلع أحد غيرك على هذه الكتابات، مرن عضلات الكتابة لديك لتكون مستعدًّا عندما تعمل على مادتك الحقيقية، والاحتمالات كبيرة أن تولد تلك «المادة الحقيقية» من رحم تمارين الكتابة الحرة اليومية التي يحرص كثير من الكتاب على ممارستها يوميًّا كل صباح، كأنها تمارين الصبح البدنية تماما.»

هذه مسألة شديدة الأهمية، ألا تخجل مما تكتب وأن تختفي فكرة الناقد الذي يعيش بداخلك، وألا تسخف أو تقلل مما تكتب، وأن تكتب وفقط أن يستمر القلم في كتابة أي شيء، عن الطقس، عن الحياة، عن ما يشغلك من ذكريات، عن ذكريات وأشخاص حولك، أيًّا كان، اكتب للكتابة فقط، حينها ستجد أن القلم يكتب في حين كنت سجين وهم أنك لا تستطيع أن تكتب إلا إن حضر الإلهام، وهذه من الأوهام الكبرى التي

يعيش فيها الكُتاب، فعلى مدار أكثر من سبعة عشر معتكف كتابي على مدار ثلاث سنوات نفاجئ الكُتاب المشتركين أصحاب التجارب الأولى بأن يكتبوا ويعبروا عن أنفسهم بالكتابة، والجميل أننا نجد الكثير منهم يكتب ويعبر عن نفسه بقوة ولأول مرة في حياته، وخلال إلقاء ما كتبوه نجد الكثير من الدموع والحماسة والضحكات ممزوجة بعضها ببعض، وكأنهم يكتشفون أنفسهم للمرة الأولى. لذلك، فأنا دائمًا مع فكرة حضور الورش الكتابية والمشروعات الثقافية مثل المعتكف الكتابي وغيره، لأن النزول إلى أرض المعركة أمر حتمي وشديد الأهمية، ولن ينفعنا كتاب ولن تنفعنا ملفات صوتية أو سمعية على يوتيوب وغيره للتعلم، بل النزول وأخذ المسائل على محمل الجد، هذا فعل شديد الأهمية.

تقنية ثالثة وهامة للغاية في عنوان «في مديح الأسئلة الصغيرة» يقول عبد النبي، «لنفترض مثلًا أنك أمام جملة ما ولا تعرف كيف يمكنك البناء عليها والمضي بها نحو النص أو العالم الذي تحاول استكشافه، ولنأخذ مثالًا بسيطًا (ذهب أحمد إلى المدرسة)، إنها جملة بسيطة ومضحكة قليلًا، يتمثل دورك الآن في أن تخرج من هذه الجملة بأكبر عدد ممكن من أدوات الاستفهام، مثل من أحمد؟ ماذا فعل؟ لماذا فعل كذا؟ ومن المفعول؟ وكيف كان هذا؟ ومتى؟ وأين؟ وبماذا كان يفكر؟ وما الذي ترتب على هذا؟ إلى آخر هذه الأسئلة الصغيرة التي يمكنك اشتقاقها من جملتك البسيطة. قد نجد مثلًا أن:

أحمد عامل نسيج متوسط العمر. قد ذهب إلى المدرسة الليلية لمحو الأمية في دار المناسبات في مركز البلدة. ذهب بعد أن فرغ من صلاة العشاء مباشرة. فقط ليرى معلمة محو الأمية الأرملة الشابة الجميلة.

يمكنك أن تستكمل هذا المثال أو أن تعيد الإجابة عن الأسئلة نفسها على هواك، والاحتمالات — كما صرت تعلم الآن جيدًا — بلا نهاية تقريبًا.»

ويستكمل عبد النبي في كتابه، «بدلًا من الانطلاق من سؤال ضخم من نوعية: ما الشخصية التي يمكن لها أن تفتن القراء؟ أو ما أهم أحداث القرن العشرين؟ فإنه يجلس ليتأمل بضعة أحداث صغيرة ومحددة، مثل تحطم طائرة، أو مريض مغطى بكامله بالضمادات البيضاء يتحدث إلى ممرضة جميلة بجانبه، ثم يبدأ «أونداتجي» يسأل نفسه، من هذا الرجل؟ كيف أتى إلى هنا؟ لماذا تحطمت طائرته؟ في أي عام حدث هذا؟ ومن هذه الممرضة؟ ألها حبيب؟ ومن خلال إجاباته على كل تلك الأسئلة الجزئية الصغيرة — بحسب قوله — (تتجمع تلك الشذرات أو قطع الفسيفساء الصغيرة بعضها إلى بعض، فيصير بوسعك اكتشاف ماضي تلك الشخصيات، أو أن تبتكر ماضيًا لبعضها.) هكذا يحدثنا الروائي الكندي السيريلانكي الأصل مايكل أونداتجي.»

إحدى أهم النصائح التي يقدمها عبد النبي أيضًا في كتابه هذا: «في نصائحه المعنونة «كيف تكتب رواية في 100 يوم أو أقل» كتب «جون كوين»، (على الرغم من عدم وجود قواعد بشأن أفكار القصص، فإني سأقدم لكم تحذيرًا صغيرًا: تناولوا الأفكار الصغيرة. من أسوأ الأخطاء التي قد يبدأ بها روائي العمل على روايته، هو الاستعانة بالأفكار الكبيرة في محاولة للتوصل إلى قصة تختزل العالم كله بداخلها، على اعتقاد أنه كلما كانت الفكرة أكبر كانت أفضل؛ وهذا ليس صحيحًا، فلتكن فكرة قصتك صغيرة ومركزة، انبش في روحك المبدعة عن قصة صغيرة لها مغزى عميق عندك أنت، فكلنا أبناء عائلة إنسانية واحدة، وإذا أبدعت

قصة ذات مغزى عميق بالنسبة إليك فغالبًا ما ستكون كذلك بالنسبة إلى الآخرين.)»

هذه نقطة أخرى شديدة الأهمية، فمن الأخطاء الكبرى أن يظن الكاتب أن عليه أن يتناول قضية كبرى، قضية كالإدمان أو تطوير الثقافة وغيرها من القضايا الكبرى. المسائل أبسط من ذلك بكثير، البساطة هي سر النجاح بالفعل، وأصدق ما سمعت أننا أسرة إنسانية واحدة، كثيرًا ما نجد أن معظم الأعمال تتحدث عن الفقر، التعليم، الحب، الحرب، ولكن حينما تتحدث عن حياتك الخاصة وأسرتك والمحيط الذي تعيش فيه، عن قصة الحب لصديق لك، عن قضية بسيطة لعامل نظافة وأسرته وكيف يحقق النجاح، فهذه مادة قد تصلح لعمل شديد الأهمية. لا يجب أن نختذل أقلامنا في القضايا الكبرى، دومًا المسائل الصغرى نجد فيها الكثير من السمات، لذا ليس من الصحيح الاهتمام بتلك المسائل.

سندخل إلى تقنية رابعة بعنوان «كن صياد فراشات»: «رواية جون فاولز «جامع الفراشات»، والتي تحكي قصة شاب مختل نفسيًّا يختطف فتاة بعد أخرى ويحبس كلًّا منهن في قبوه فقط ليصادقها. إننا نتكلم عن الأفكار، واسمح لنا أن نطلق عليها مجازًا «فراشات»، وأنت الآن صيادها المخلص الذي يمارس هوايته تلك ليل نهار، بصرف النظر عن مكانه أو صحبته أو حالته الذهنية، فلا يحتاج صيد الخواطر للتفرغ أو لاعتزال الناس والتوغل في البراري والغابات.»

هل تتذكر القول المبتذل القديم بأن الأفكار ملقاة في الطرقات، المهم أن نعرف كيف نلتقطها ونصنع منها شيئًا؟ أحب أن أبشرك بشيء، هذا القول صحيح مائة في المائة. يمكنك العثور على أفكار قصائد وقصص

وروايات وكتب غير سردية وأفلام ومسلسلات في كل ركن من حولك، في بيتك وبين أهلك، في الشارع وزحام المواصلات، في مكان عملك، في المقاهي وأماكن الترفيه، على شاشة التليفزيون، بين صفحات الكتب (لا نتحدث عن الاقتباس هنا فهذه قصة أخرى)، وعلى صفحات المواقع الإلكترونية حاليًّا بطبيعة الحال؛ ما يهم هنا هو أن تنمي لديك — بالممارسة — تلك العين اليقظة التي تستطيع تمييز الفراشة الملونة الصغيرة من بين ركام الحياة اليومية وزحامها بعشوائيتها ونشازها، ثم أن تعمل فيما بعد على تغذيتها وتطويرها إلى أن تتحول الفراشة ذات يوم إلى شيء آخر: كرنفال أو كاتدرائية أو حتى غرفة لشخصين.»

هذا نفس ما تحدث عنه العراب بصورة أكثر بساطة حينما قال إن مصر حبلى بالكثير من المشاهد المغرية بالكتابة، انزل إلى العالم الخارجي، اخرج واحتك بالناس، فستجد الكثير من الأفكار التي يجب أن تتعلم أن تكون صائدًا جيدًا لها.

يقول عبد النبي، «حاول أن تتحلى بالحرص والرأفة مع أفكارك، فمهما بدت لك إحدى الفكر لأول وهلة تافهة وغير جديرة بالتعب عليها، فلتسارع إلى تدوينها ما إن تخطر لك، ولا تنسَ دفترك الصغير أبدًا»، وأنا مع هذا الرأي كثيرًا.

وتقول «أنابيس نن»، «لا تأتيني الأفكار عادة وأنا جالسة أكتب، بل وأنا في قلب الحياة»، ويجب أن نأخذ هذه المسائل على محمل الجد.

يقول عبد النبي في مقال رائع بعنوان «العب بجدية الأطفال»، «(لا يوجد أكثر جدية من الطفل في لعبه)، «فريدريك نيتشه».

كتب «جون براين» مؤلف رواية «غرفة على السطح»، (إذا كان

لصوتك أن يُسمع وسط آلاف الأصوات، وإذا كان لاسمك أن يعني شيئًا بين آلاف الأسماء، فسيكون السبب الوحيد هو أنك قدمت تجربتك الخاصة صادقًا))، وهذه الجملة لو أستطيع أن أضعها كمانشيت ودستور في غرفتي لفعلت. قصتك الصادقة وقيمك الخاصة في عملك الإبداعي هي السبيل الوحيد إلى أن يُسمع صوتك وأن تكون لك مكانة خاصة لدى الآخرين، أن تكون صادقًا فيما تفعل.

وفي جملة جميلة أخرى للكاتب «بيلي كولينز»: «يصل الكاتب منا إلى أسلوبه بتعلم ما ينبغي حذفه، في البداية نميل للإسهاب في الكتابة، نميل لزخارف اللغة بدلًا من الرؤية والبصيرة، فإما أن تستمر في كتابة لغو فارغ وإما أن تتغير. وفي سياق عملية تبسيط المرء لنفسه يكتشف ما يُسمى بـ»صوته الخاص».»

هذه الجملة شديدة الأهمية لعدة أسباب، أحد الكُتاب المعروفين الحائزين على جائزة نوبل، أعتقد هو ماركيز، كان يقول إن عمله الإبداعي الذي حصل على جائزة المحرر الأدبي حذفت منه مائة صفحة، وأنه يتوجه بالشكر له. هذه الإشكالية ضخمة في مصر: المراجعة اللغوية أمر بسيط يتفق معه الجميع؛ لكن المحرر الأدبي، الجميع هنا لديه حساسية شديدة أن تمتد غير يده لتحذف أو تحرر عمله الأدبي، ويرى أن عمله الأدبي هو ابنه، وأنه نتاج عقله وإبداعه، وأنه من غير اللائق وغير المنطقي أن تمتد له يد، أن تحذف وتضيف وتغير وتنسق، في حين فكرة المحرر الأدبي موجودة في الغرب وبقوة، لكن الإيجو العالية لدى الكتاب في مصر لا تسمح لهم بفكرة إدخال المحرر الأدبي الذي يمكن أن يحذف من عملهم الأدبي، وللأسف الشديد حتى هم على المستوى الشخصي لديهم تخوفات

عديدة عند فكرة الحذف. فلا تخف، إن الصواب أن تحذف مرة وثانية وثالثة، وأن تختار عملك بمنتهى الدقة.

تقنية جديدة يضيفها لنا عبد النبي في مقالة أخرى بعنوان «من قصاصة إلى قصة» يقول، «بصراحة نادرًا ما ستجد كاتبًا لم يبدأ مشواره مع الكتابة بشيء آخر غير الولع بالقراءة، وكثير من الكُتاب يميلون لوصف أنفسهم بالقراء أساسًا قبل أن يكونوا أي شيء آخر. إذا وجدت بداخلك هذا الولع فأنت على الطريق الصحيح. أما إذا كنت تجد صعوبة في القراءة أو تضجر سريعًا ما إن تقلب بضع صفحات من أي كتاب، فإنك بصراحة لست الشخص المناسب للسير على هذا الطريق، الذي لا يخفف من وعورته ومشقته إلا ذلك التوقد والشغف والفضول اللانهائي نحو قراءة كل كلمة مطبوعة تقريبًا، إلا إذا كنت معجزة فريدة من نوعها، وهو ما يجب ألا نستبعده تماما.»

ويستكمل عبد النبي ويقول لا يجب أن ننسى «اهتمام المعلم الكبير نجيب محفوظ بقراءة ما يُنشر أسبوعيًّا في بريد الأهرام، كأنها نافذة أخرى صغيرة نحو الناس وحكاياتهم وأزماتهم، وأوضح مثل على اهتمامه هذا هو متابعته في شغف وتأمل جميع ما تنشره الصحف من أخبار حول «محمود أمين سليمان»، اللص والقاتل الهارب الذي عُرف بـ»السفاح»، ليصنع من تلك القصاصات تحفته الرائعة «اللص والكلاب» ليتحول محمود أمين سليمان إلى «سعيد مهران» الذي يواجه وحده مجتمعًا شوهته الأكاذيب والخيانات.»

هنا تكمن عبقرية نجيب محفوظ، أنه كان يبحث ويبحث ويحول القصاصات والأفكار البسيطة إلى أعمال خالدة. نفس المنطق ونفس

السؤال الذي كان يطرحه العديدون. الرجل كان موظفًا ويكتب ستة أشهر فقط في السنة وكان يكتب في توقيت محدد، وأيقونتا المعتكف الكتابي هما نجيب محفوظ والعراب، ندرس شخصياتهما وحياتيهما لما نجده في حياتهم من أشياء عظيمة يجب أن نتحدث عنها سواء من ناحية الإنتاج الأدبي أو من ناحية الشخصية لدى الطرفين.. ما نريد أن نقوله إننا كنا دوما نتساءل، من أين أتت شخصياته؟ وهو الرجل الذي لم يكن يحتك، هو ابن للحارة المصرية بلا شك، لكن الرجل كان واسع القراءة وواسع الإدراك وواسع الحيلة، فمتابعة البريد الخاص بالأهرام أوحت له الكثير من الأفكار في أعماله، وهكذا. هذا مجرد نموذج مهم، هذه العديد من الحيل المهمة التي يتحدث عنها عبد النبي.

الحبكة

في فصل جديد بعنوان «الحبكة، جدلية الأسباب والنتائج»، «يُعد كتاب إي إم فورستر «أركان القصة» من المراجع التي لا غنى عنها لأي قاص أو روائي، وهو متاح باللغة العربية بترجمة «كمال عياد جاد»، وكان من بين إصدارات مكتبة الأسرة «أمهات الكتب» لعام 2001، وهذه هي النسخة التي أعتمد عليها هنا، وإذا أتيحت لك قراءته فسوف تجد بين فصوله إضاءات كاشفة لبعض أهم عناصر اللعبة السردية، ومن بينا مفهوم «الحبكة».

يعرِّف فورستر هذا المفهوم كالتالي:

(دعنا نعرِّف الحبكة الروائية. لقد عرَّفنا الحكاية بأنها مجموعة من الحوادث مرتبة ترتيبًا زمنيًّا، والحبكة أيضًا سلسلة من الحوادث يقع التأكيد فيها على الأسباب، فإذا قلنا «مات الملك، ثم ماتت الملكة بعد ذلك»، فهذه حكاية، أما «مات الملك، وبعدئذ ماتت الملكة حزنًا عليه»، فهذه حبكة. وقد احتفظنا هنا بالترتيب الزمني، ولكن الأسباب والنتائج تفوقه.)»

الحبكة وأهميتها، الحبكة تلعب دور المغوي «الذي يأخذ بيد القارئ ويغوص به في أعماق وطبقات حكايتك وعالمك من نقطة إلى التي تليها. عنصر الغموض والإخفاء والإظهار في حبكتك سيجعله يتساءل

من وقت إلى آخر: (وماذا حدث بعد ذلك؟) لكن إشباع الفضول — بحسب فورستر — ليس بالطموح الكافي للرواية الجيدة، بل عليك أن تجعله أيضًا يتساءل، (لماذا؟ وكيف؟)، وأن يستعمل ذاكرته وذكاءه في محاولته الوقوف على التركيب الكلي لحبكتك، لكي يستشعر تلك الدهشة الكلية مع سطور النهاية، دهشة الوقوف أمام نموذج للجمال لم يتخذ شكله النهائي إلا مع السطور الأخيرة.»

هنا ينتهي الاقتباس، وهنا نقطة شديدة الأهمية، وهي أن الحرفية كلها في العمل الروائي — أو الدرامي، ولكن هنا نركز عن الروائي لأننا نتحدث عن أن ماهية صناعة الرواية هي في الحبكة، يعني في الخميرة في قطعة العجين.

كيف تضبط المقادير لتجعل طعمًا مميزًا لطبختك، الحدوتة كلها في صنعة الكاتب وحبكته، وطبعًا الحبكة تختلف من كاتب إلى آخر حسب درجة مهارته، لكن نستطيع أن نقول إن مركز الرواية هو الحبكة.

عن مصادر إلهام في فكرة صناعة الحبكة، هنا يطرح لنا عبد النبي ويقول:

«العب، هذه هي كلمة السر، يمكنك استلهام حبكتك من خبر في صفحة الحوادث، من عبارة في أغنية، من فيلم قديم، سوف تجد على الدوام مظلات عريضة تندرج تحتها عشرات الحبكات ولكن بتفاصيل مختلفة. إن وصول شخص غريب إلى بلدة صغيرة ذات يوم قد يكون المحرك الأول لعشرات الحكايات، فمن هو غريبك؟ وما الذي أتى به إلى هذه البلدة؟ وماذا سيترتب على وصوله؟ محاولة بلوغ مقصد أو هدف، عظيمًا كان أم تافهًا، هي أيضًا نواة جوهرية لآلاف الحبكات في

الأدب والسينما، فما الذي تسعى إليه شخصيتك أو شخصياتك؟ وكيف ستحاول تحقيقه؟ وهل ستنجح أم لا؟ بمجرد إجابتك عن تلك الأسئلة البسيطة تجد بين يديك الخيوط الأولية للحبكة الخاصة بك، وما عليك إلا تطويرها بأن تكسو عظامها لحمًا، وتمد فيها الأعصاب، وأن تنفخ فيها من روحك بحيث تنتزعها بعيدًا — مع الوقت والعمل عليها — عن ملايين الحبكات المشابهة.» فحتى إن استمددت حكايتك أو حبكتك من الدراما، من اطلاعك، من تأثرك ببعض الروايات وغيرها، فهذا يجوز في البداية، في مرحلة ثقل الموهبة؛ لكن ما نطالب به وما نرجوه أن تكون لديك لمستك الخاصة وحبكتك الخاصة التي تتماشى معك وتتماشى مع العمل الذي تعمل عليه.

في إشارة بديعة في مقال «أشياء كبيرة وعدسات صغيرة» يكتب محمد عبد النبي قائلًا:

«ما الحب؟ نشر على مواقع التواصل الاجتماعي تعريف للحب، من طفلة ذات ستة أعوام، تقول فيه إنه (عدم الخجل من الابتسام أمام أصدقائك حتى إن كنت فقدت إحدى أسنانك)، هذا مثال نموذجي على ما نحاول توضيحه فيما يلي، تحويل المعنى المجرد إلى شيء محسوس وواضح. من السهل والمكرور كذلك أن تضع أعقد وأغرب التعريفات للحب، لكن الصعب والمبتكر كذلك أن تعثر على تعريفه الخاص بك، من خلال التقاط لحظة صغيرة كهذه. لقد حولت هذه الطفلة، ببساطة وذكاء،المعنى المجرد إلى دراما، إلى موقف بسيط وكاشف، دون اضطرار إلى أي كلام كبير قد يكون أجوف تماما.»

هنا نتحدث عن قيمة البساطة في التعبير، أنا لا أنسى أني شاهدت

في لقاء تليفزيوني مع طفل لديه ست سنوات يدعى «حمزة إسلام» كان يبيع كتبه بنصف الثمن في مدينتي، وفي أحد اللقاءات التليفزيونية كانت تسأله المذيعة «لماذا فعلت ذلك؟» فقال لها جملة شديدة الأهمية:

«الدماغ أغلى حاجة.»

طفل صاحب ست سنوات من العمر يقول الدماغ أغلى حاجة! وأنا منذ هذه اللحظة أتخذ هذا الشعار دستورًا لحياتي ولصناعة الوعي الفردي والجمعي لمن هم حولي، لتطوير الوعي الفردي الخاص بي ودعم الوعي الجمعي ككل.

طفلة أخرى تبلغ من العمر ست سنوات تقول لك إن الحب هو أن أبتسم أمام أصدقائي دون خجل حتى وإن كنت فقدت إحدى أسناني، فالبساطة هنا شيء عبقري. ما حدث نفسه نطالبك به في كتابتك، قد يكون تعريف الحب من وجهة نظرك هو انجذاب شخص نحو آخر بقوة قاهرة لأسباب غير معلومة، وهذا تعريف للكاتب الكبير «محمد إسماعيل علي» رحمه الله، أو في جملة أخرى، الحب هو ألا تشرق الشمس كل يوم إلا حينما تفتح هي شباكها، على سبيل المثال، أو تعبير هذه الطفلة. فالقصد هنا: كلما كانت المسائل بسيطة كانت أكثر اتصالًا بالقارئ العزيز.

في مقال آخر بعنوان «لوِّن أفكارك بألوان السرد» يقول:

«لا أذكر أين أو متى سمعت مقولة أنه (لا يوجد مرض، يوجد فقط مرضى)، أي إننا لا نستطيع أن نفصل أي مرض في البدن أو في النفس عن الشخص الذي يحمله ويقاومه أو يتكيف معه. في الكتابة الإبداعية أيضًا لا يمكننا أن نفصل أي قضية عامة مهما كانت جاذبيتها أمام الكتابة عن الشخصية التي تحتويها وتعرضها دراميًّا عبر تطور الحكاية. إنك لا تكتب

عن المقامرة، بل عن مقامر محدد له صفات خاصة ومحددة. مهما اجتهد علماء النفس في وضع تحديدات وسمات عامة مشتركة لشخصية المقامر، فلا بد أن يبقى مقامرك الخاص بقصتك مختلفًا عن جميع الآخرين.»

هنا أعتقد أن عبد النبي يقصد ألا تكون جهاز محاكاة تنقل الأحداث التي تراها فقط، بل ضع لمستك الخاصة عليها، فلا يجب أن يكون نزيل المستشفى أو الشخصية المثقفة اليساري هو رجل منكوش الشعر يرتدي نظارة! كوِّن عالمك الخاص وضع بصمتك الخاصة على ما تكتب.

وفي مقال بديع آخر بعنوان «فتنة الشخصية» يقول عبد النبي:

«في كتيب بعنوان «كيف تكتب رواية في مائة يوم أو أقل؟» يقول «جون كوين»، (تذكر أن الروايات قد تكون حبكتها خفيفة وقد يكون أسلوبها هشًّا، لكن الشيء الوحيد الذي يمكنه إنقاذ أي كتاب واكتساب تعاطف القراء هو شخصيات من لحم ودم ذات صفات وداوفع قابلة للتصديق.)»

هنا نتحدث عن الشخصيات. أعتقد أن الشخصيات هي العمود الفقري للعمل، فكنت أسأل كثيرًا من القراء والكتاب، «في أي عمل روائي لنجيب محفوظ تقع شخصية سي السيد، أفي ثلاثية نجيب محفوظ أم غيره؟ فكان لا يعرف، أو إنجي وعلي في رد قلبي؟ فكان لا يعرف، سعيد مهران في اللص والكلاب، وثرثرة فوق النيل فيه بعض الأسماء، الموظف الحشاش عماد الذي كان يقوم بدوره الفنان «عماد حمدي»، فكان لا يعرف اسم العمل. كثير من الشخصيات والأبطال عالقون بذاكرة المتلقي أكثر من العمل نفسه، وهنا عبقرية العمل. لا بد أن يتأثر القارئ بأبطالك وشخصياتك، لأن الشخصيات هي التي من لحم ودم. قد

يكون العمل ضعيفًا أو ليس على مستوى قوي، لكن الشخصيات قوية. أعتقد أن في «الخيط الرفيع» لإحسان عبد القدوس لا أرى بعين القارئ الحالي أن العمل عبقري، ولكن الشخصيات التي قامت بها «فاتن حمامة» و«محمود ياسين»، والحوار البديع الذي دار بينهما — وهو حوار على قدر عالٍ أصبح من أيقونات السينما المصرية لا يُنسى — الشخصيات قد أتذكرها ولا أتذكر العمل نفسه. وشخصية حسين في الباب المفتوح، وغيرها. كلما كانت الشخصيات قوية وحية كلما نجح العمل.

وفي فصل آخر بعنوان «أنت رسام بورتريهات»: «قال الروائي الأمريكي الشهير «وليام فوكنر»:

(إذا كنت ستكتب فلتكتب عن الطبيعة البشرية، فذلك هو الشيء الوحيد الذي لا يسقط بالتقادم.) في وقت لا حق على ذلك وفي كلمته التي ألقاها بمناسبة تسلمه جائزة نوبل للأدب، قال فوكنر أن هدفه كان أن يتناول مواد الروح البشرية ويخلق منها شيئًا لم يكن موجودًا من قبل.)»

كما قلنا من قبل، إن الإنسانية عائلة واحدة، وإن الكتابة عن الروح أو النفس البشرية هو ما يعطي للعمل قيمة وأثرًا وحيوات لا تنتهي. فأعمال دوستويفسكي على سبيل المثال خالدة بقوتها، بجوار عبقرية الرجل في طريقة الكتابة، ولكن القضايا الإنسانية التي كان يتناولها وطريقة تناوله لها هي ما جعل أعماله خالدة حتى الآن. ومن ثم، فإن كنت تريد الخلود فعليك أن تكتب عن الإنسان ومشاعره وعما يشغله.

عن الحوار، وهو من أهم تقنيات ودعائم صناعة الرواية، «يشبه الروائي الكولومبي الشهير «جابرييل جارثيا ماركيز» — وهذا الرجل حصل على جائزة نوبل — الحوار بمزهرية عتيقة ورثناها عن الجدة،

ويضيف أنها تكون ثمينة القيمة فقط إذا عرفنا أين نضعها.»

الحوار، أين نضعه في العمل الروائي، وكيف نستخدمه؟ وتلك حدوتة كبرى، حدوتة تقنية، متى يتكلم بالفصحى؟ متى بالعامية؟ — إن كانت هناك عامية — ما خلفية البطل والمتحدث؟ وضعه الاجتماعي؟ ما مستوي ثقافته لكي يتحدث هذه اللغة أو لا؟

الحوار البديع الذي تحدثت عنه من قبل في الخيط الرفيع كان حوارًا قويًّا، البعض عاب على الكاتب أن هذا الحوار القوي يخرج من البطلة وهي بائعة هوى من وجهة نظر البعض أو سلمت نفسها أكثر من مرة لأكثر من رجل، والآخر مهندس عادي، فكيف يكون الحوار بهذه القوة، وهو نقد في محله من لدى البعض. لكن القصد أن أحيانًا تكون قوة الحوار أكبر من مستوى الثقافة والوعي الفردي للأبطال، وهذا مأزق شديد، لأن الكاتب عادة ما يُسقط مدى ثقافته ووعيه وامتلاكه للغة على لسان أبطاله، ولكن يجب حينما يسقطها على لسان أبطاله أن يكونوا هم كذلك على نفس مستوى الوعي الخاص بك في العمل ووعي المتلقي القارئ، حتى لا يكون الحوار أكبر من الشخصيات.

من أهم الأشياء الحقيقة التي يقولها الكاتب الإنجليزي «جوزيف كونراد»، «مهمتي هي أن أستعين بقوة الكلمة لكي أجعلك تسمع، وأن أجعلك تشعر، وقبل ذلك كله أن أجعلك ترى.» وهذه مسألة شديدة الأهمية الحقيقة.

تحدثنا عن الحوار، وعن الحبكة، وتحدثنا عن بعض تقنيات الكتابة والكتابة الحرة، عن كيفية بناء الأفكار، لكن لم نتحدث عن أهم شيء: «عتبة دارك» كما يقولون، أو عتبة النص:

البدايات، يقول هنا عبد النبي، «لكل بيت باب، وللنص الأدبي أكثر من عتبة وباب، أهمها، بعد العنوان مباشرة، البداية والنهاية، باب للخروج وآخر للدخول، السطور الأولى والسطور الأخيرة، كل منهما يلعب دورًا حاسمًا في تشكيل علاقة القارئ بقصتك أو روايتك. فيمكن لبداية غير موفقة أن تنفره من دخول عالمك تمامًا، وتكون طاردة للسكان من حكايتك. وفي المقابل، للنغمة الأخيرة في النهاية أهميتها في تحديد الأثر الأخير للَّحن وإشباع توق القارئ وفضوله. وقد تكون أحيانًا عتبة لقراءة النص نفسه من جديد، أو اتخاذ قرار إما بقراءة جميع أعمال الكاتب الأخرى وإما بعدم الاقتراب منه مجددًا. لذلك كله لا بد من الانتباه الشديد لعتبات بيوتنا، قوسي البداية والنهاية.» وهذه إشكالية شديدة الأهمية، أن تكون كما يقولون «الجواب ببيان من عنوانه»، وكما تقول الناشرة «إكرام يوسف» أنها تقيِّم العمل بعد أربعين صفحة من قراءته، فتقبل نشره إذا استطاعت أن تكمله وترفضه إن لم تستطع، وعادة القراء أيضًا بنفس السياق، فمن الهام جدًّا أن تشد القارئ من ملابسه وأن تقحمه وتجذبه إلى استكمال العمل الخاص بك، ولا يجب أن «يسرح قلمك» في محاولة التمهيد للقارئ فتصيبه بالملل. فالبداية هامة جدًّا.

وكذلك النهاية، وللنهاية إشكالية كبرى، لأن الكثير من الكتاب يبدعون في البداية والحبكة وحين يصلون إلى النهاية يحتارون وينشغلون بالقارئ، فيكتبون أكثر من نهاية، أو يكتبون نهاية مفتوحة، أو يمهدون لجزء ثانٍ، فتلك إشكاليات كبرى ترجع لكل كاتب. فهناك من يريد أن يصدم القارئ، وهناك من يريد أن يربت على كتف القارئ، تلك مسائل ترجع لكل كاتب الحقيقة. لكن من الضروري إن كانت هناك مهارة في البداية أن تكون هناك نفس المهارة في النهاية، حتى يكون لدينا عمل أدبي

مميز. وكما قلنا مرارًا وتكرارًا، قد تجد شيئًا قد يساعدك في هذا الكتاب أو الكتب التي أشرنا إليها ومصادرنا المختلفة، لكن كل هذا لا يصنع منك كاتبًا، ما يصنع منك كاتبًا شيئان لا حدود لهما:

موهبتك، وقدرتك على التحرك والتعلم. فقط لا غير. وبناء على ما سبق أدعوك إلى مطالعة صفحة المعتكف الكتابي وإلى مطالعة كل ما له ذات العلاقة بورشة الحكاية وما فيها، وغيرها من ورش الكتابة للتعلم والاحتكاك العملي والنزول إلى الميدان.

النشر في مصر

عزيزي القارئ، هذا شرح وافٍ ومعرفي لفهم قصة النشر في مصر على لسان العديد من الأسماء الكبيرة في عالم النشر، وهذا للمعرفة فقط لا غير، فلا نريد أن نسبب لك أي «بلوك» نفسي وتوهم بصعوبة المسألة. فهذا الباب به قسمان: الأول معرفي بحت لفهم الحدوتة ليس أكثر، والقسم الثاني تفصيلي بكل شيء حول النشر بشكل خاص، لتفهم واجبات وحقوق كل من دور النشر والكُتاب، وعرض نماذج للعقود، ونسبها، وغيرها من الأمور فلا تتعجل الحكم.

ودعنا الآن نستمتع بحلقة الكاتب «عمر طاهر» حول النشر في برنامجه «وصفوا لي الصبر» وستجد الحلقة على يوتيوب، وسوف نستعين بأهم ما جاء فيها لتوضيح الصورة لك. وعلى المستوى الشخصي كنت أشعر أن «الغصة التي في حلقي» من النشر هي نتاج طبيعي لأخطاء شخصية في الماضي وتعامل سيئ في بعض معطيات الحدوتة، ولكن بعد أن رأيت أن نفس الغصة لدى العديد من كبار الأسماء في عالم النشر تيقنت أن الهم واحد وأن الوضع السيئ هو سيد الموقف بشكل عام. دعنا نستمع اليهم ونفهم أكثر أبعاد سوق النشر في المصر، كُتابًا ودور نشر ومكتبات وتسويقًا وقراء وصحافة ككل. **ونعتذر مقدمًا أن اللغة المستخدمة هي اللغة العامية، ولكن حفاظًا على أمانة النقل من المصدر وحرصًا منا**

على توصيل الصورة بشكل أسرع وأبسط، سوف نستعين بتفريغ كامل للحديث على لسان أبطاله دون تدخل منا، وبنفس اللغة المستخدمة في البرنامج. وشكرًا لتفهكم.

عمر طاهر : دخلت على جوجل وكتبت كلمة «الناشر» بحثًا عن تعريف لهذه الكلمة، لقيت نتيجتين عكس بعض تمامًا. النتيجة الأولانية بتقول، الناشر هو شخص يتحمل مخاطر ومصاعب إنتاج الكتب باختلاف أنواعها. النتيجة اللي بتدور حوالين فكرة المصاعب والمخاطر دي كانت شبه الكلام اللي سمعته من الناشرة «نورا رشاد»:

«والدي عنده جملة مشهورة، ودايمًا يقولها للناشرين — وهو بالمناسبة مدير دار المصرية اللبنانية وهي من أهم دور النشر في مصر، وأيضًا رئيس اتحاد الناشرين العرب — دايمًا يقولهم: الناشر لازم يمتلك تلات حاجات: صبر أيوب، وعُمر نوح، ومال قارون.»

عمر طاهر: النتيجة التانية كانت غريبة شوية، بتقول، الناشر هو نوع خطير من التعابين، وبتقول أن أفعى الناشر موجودة بشكل خاص في إقليم النيل، وبتقول إن أفعى الناشر هي اللي انتحرت بيها كليوباترا. طبعًا كتير — وأنا منهم — بيؤمنوا بالنتيجة بتاعة المصاعب اللي بيواجهها الناشر، لكن كمان فيه ناس بترتاح للتعريف التاني لأنه بيعبر عن شعور بعدم الراحة ما بين الكاتب والناشر في مصر.

عمر طاهر: الخلاف بين وجهتين النظر بخصوص شغلانة الناشر خلانا مضطرين نبتدي من الأول خالص عشان نوصل لأكتر جملة مفيدة ممكنة، فبدأت من تعريف جملة الناشر، تعريف من أرض الواقع مش من على النت، الناشر كما يراه الناشر والكاتب «أحمد مهنى»

*أحمد مهنى شريك أساسي في دار دون التي تُعد من أهم دور النشر الجادة في مصر.

أحمد مهنى: طيب الأول عشان خاطر نعرَّف الناشر في إطاره الطبيعي، نفهم الأول عملية النشر. عملية النشر تقريبًا بتدور في أربع حلقات رئيسية: الحلقة الأولى اللي هي المؤلف أو المبدع، الحلقة التانية اللي هي الطابع أو المصنع في حالة إن الكتاب كتاب صوتي أو كتاب إلكتروني، الحلقة التالتة اللي هي الموزع، سواء الموزع ده مكتبة أو موزع جملة مثلًا، أو أبلكيشن بيتعرض عليه الكتب الإكترونية أو الصوتية، والحلقة الرابعة اللي هي الجمهور. أحيانًا بيتم الخلط، إن الناشر هو الطابع اللي هي الحلقة رقم اتنين، لكن الحقيقة إن الناشر هو الشخص أو الجهة أو الشركة اللي بتدير العلاقة بين الأربع حلقات دي بشكل أساسي، بحيث عندها من الخبرة وعندها من المعلومات ومن الاحتكاك مع الأربع حلقات دول إنه يعرف إزاي يدي ملاحظات أو نصايح للمؤلف، وإزاي يتعامل مع المطبعة وياخد منها معايير جودة مناسبة، وإزاي يتعامل مع الموزع، هو في احتكاك مباشر مع الجمهور فهو عارف اهتماماتهم وتوجهاتهم في الفترة الحالية. الناشر تقريبًا هو مدير العلاقة دي، أشبه بالمخرج في السينما، أو المنتج الفني في صناعة السينما.

عمر طاهر: سألت أحمد مهنى، هو الخلاف ما بين الكاتب والناشر بييجي من فين عادة؟

أحمد مهنى: المشاكل اللي بتيجي عادة بين الكُتاب وبين الناشرين ليها علاقة بمجموعة عوامل، ليها مثلًا علاقة بإتاحة المعلومات، زي مثلًا الكتاب باع قد إيه؟ لا مش عارف، هقولك، لو مافيش معلومات

واضحة بيحصل مشكلة كبيرة ما بين الكاتب والناشر. المشكلة التانية بتبقى مشكلة توقعات، يعني إحنا مرة جالنا كاتب وقرينا الرواية واتفقنا عليها، وفي لحظة توقيع العقد قالنا، «الرواية دي هتفوز بالبوكر السنة دي»، قولناله، «إنت عرفت منين إنها هتفوز بالبوكر؟» قالنا، «لأ أنا عارف إنها هتفوز بالبوكر، فعايز منكم التزام إن الرواية هترشح للبوكر عن طريق الدار»، هنا كان فيه مشكلة كبيرة، إن أنا كدار نشر لو قولتله حاضر وفي الآخر مالتزمتش يبقى هنا فيه مشكلة، هو عنده توقع جاهز، متوقع الموضوع ده وراسم آماله على هذه النقطة، فكان لازم أكون واضح معاه في نقطة إن أنا في الآخر بيكون عندي لجنة بتقرأ الأعمال كلها وبتشوف إيه أفضل عمل هيتم ترشيحه، وإلا بضحك عليك يعني. فأحيانًا بتكون أزمة توقعات، أزمة توقعات من المؤلف. «الكتاب ده هيكسر الدنيا» أو مصطلح «هيكسر الدنيا في البيست سيلر». ومصطلح «البيست سيلر» برضه عليه نقاط استفهام كبيرة جدًّا.

عمر طاهر: سألت الناشرة نورا رشاد، أنا فاهم معاناة الناشر مع الكاتب، إيه أكتر حاجة بتتعب الناشر من الكاتب؟

نورا رشاد: إحنا زمان لما ابتدينا نشتغل، يعني أنا موجودة في الدار من 2003، كان والدي رافض رفض تام موضوع إننا نشتغل في الأدب، وكان عمل حاجات بسيطة جدًّا في الأدب، وكان دايمًا وجهة نظره إن الكُتاب بتوع الأدب صعب جدًّا التعامل معاهم وإقناعهم بوجهة نظر الناشر، وكان دايمًا يقولي إن هما عندهم إنهم يقروا كل أصدقائهم ومعارفهم وييجوا عند حتة الناس — اللي هي شغلته وده الاحتراف بتاعه — ييجي يقولك لا ده تدخل، لا الناشر ده بيتدخل. فهو سابلنا

بصراحة التجربة إن إحنا نحاول، ومن 2007 ابتدينا نركز في الموضوع، لكن دلوقتي الحمد لله أنا وأختي «نرمين» ماسكين النشر، دلوقتي الكُتاب بيزعلوا لو إحنا ماقريناش العمل بنفسنا وماقولناش وجهة نظرنا، ابتدوا يحسوا إن فعلًا العمل اللي الناشر بيشتغل فيه معاهم بيبقى مختلف تمامًا عن العمل اللي هما بيجيبوه زي ما هو ويتنشر.

*ومن خلال متابعتي كقارئ جيد ومتابع للوسط الثقافي أعتقد دون أدنى مجاملة أن الدار المصرية اللبنانية نجحت كثيرًا في نشر العشرات من الأعمال المميزة للكُتاب الشباب في الثلاث سنوات الأخيرة ولهم نجاحات كبيرة في هذا الشأن.

*نعود لحوار عمر طاهر عن النشر.

عمر طاهر: لما روحت للناشرة الناجحة «فاطمة البودي» كان عندي سؤال محدد، إيه السر إن الكاتب في مصر مابيكسبش من كتبه مبالغ محترمة، بل إن في كُتاب مابتشوفش قرش واحد من كتبها؟

*بالمناسبة، الناشرة فاطمة البودي مديرة وصاحبة دار العين للنشر، وهي من الدور الكبيرة في مصر وحصلت على العديد من الجوائز الرفيعة وتهتم كثيرًا بالمحتوى الأدبي الثقيل في إصداراتها.

فاطمة البودي: أنا عايزة أقولك إن الحقيقة الناشر مظلوم، طول الوقت يقولوا الناشر حرامي، للأسف عيب، الناشر بيبذل جهد كبير وبيحاول يسوق قد ما يقدر، بس الواقع اللي إحنا فيه دلوقتي مش بس في مصر في العالم العربي كله، فيه تراجع كبير في المبيعات، يعني الأزمة الاقتصادية مخلية، إحنا في بلاد كمان القراية فيها رفاهية، يعني مش القراية عادة أصيلة زي أوروبا أو أمريكا، إحنا بالكاد يعني. بالاضافة لتزوير

الكتاب ورقيًّا وإتاحته على المواقع في الإنترنت مجانًا. أنا عايزة أقول إن المؤلف أحيانًا هو يكون متجني على الناشر، يعني أنا بشوف حاجات مثلًا «أنا كتابي فين؟ كتابي مش موجود في المكتبة دي!» اللي المؤلف مايعرفوش إن المكتبات هي اللي بتتحكم في النشر الحقيقي، ودي فرصة كويسة قوي إن أنا أقول الحقيقة المسكوت عنها، للأسف الشديد المكتبات مستبدة وهي اللي بتروج للكتب عديمة القيمة، المسماة الأكثر مبيعًا. يعني كتاب لسه نازل، لسه الناشر بيعلن عن صدور الكتاب، تلاقي الكتاب محطوط تحت قائمة الأكثر مبيعًا. الكل بقى عارف اللعب ده والحقيقة يعني إن فيه بعض المكتبات بتطلب فلوس من الناشر عشان تحط كتبه بشكل لائق. أنا أرفض التعامل بهذا الشكل، وكُتابي بيفرضوا مكانتهم وبيفرضوا نفسهم، وأنا وهما والزمن طويل.

عمر طاهر: كُتاب كتير بيحسوا إنهم مظلومين في علاقتهم مع الناشر واتكلموا عن ده كتير، لكن هل الناشر بيحس برضه إنه واقع تحت ظلم ما في بعض الأحيان؟

فاطمة البودي: الحقيقة أنا أشفق على المؤلفين، لأنه المؤلف، أعظم مؤلف يعني، بياخد نسبة، بياخد ٪15 من سعر الكتاب، المكتبة بتاخد ٪40. إنت بتحط رأس مال فورًا، بتحط فلوسك في الورق، بتحط فلوسك في الطباعة، بعد تعويم الجنيه الأمور بقت شديدة الصعوبة، وبتحط رأس مال كبير، وبتنتظر دورة رأس المال التي ازداد بطؤها لأسباب كتير: أولًا انخفاض القيمة الشرائية، ثانيًا تحكم المكتبات، ثالثًا فيه بعض المكتبات مابتدفعش فلوس أو مابتدفعش في ميعادها، ومكتبات كبيرة مش مكتبات صغيرة للأسف الشديد. فإنت بتلاقي

نفسك إنت عندك 45٪ إنت كناشر المفروض، بس أمتى بقى؟ وتلمه إزاي؟ وترجع تضخ فلوس تاني عشان تعمل كتب جديدة وهكذا. فإحنا كناشرين بنعاني جدًّا هذه الأيام.

عمر طاهر: بمناسبة معاناة الناشر اللي بنواجهها في مصر، كانت أهم وجهة نظر سمعتها النهاردة كانت من الناشرة نورا رشاد اللي قالت بصراحة «إن الناشرين نفسهم هما أخطر حاجة على النشر في مصر.»

نورا رشاد: أنا الحقيقة دلوقتي بشوف أصحاب ليا كتير ومعارف بطلوا يقروا، بسبب كثرة الأعمال الرديئة جدًّا، إن طبعًا فيه دور نشر — ومش هقدر أذكر أسامي — بتعمل غلاف جذاب جدًّا وبتعمل عنوان جذاب جدًّا، بس تيجي تلاقي في الآخر إن المتن اللي جوا رديء جدًّا، والناس بتتخدع، فتشتري الكتاب وتفتح الكتاب تلاقيه وحش. فالناس بتبطل تقرا، يا إما الناس ذوقها بيبوظ. تيجي إنت بعد كده تقدم حاجة حلوة أو حاجة حقيقية، أنا فاهمة إن قصة القراية دي فيها وجهة نظر، لكن في الآخر برضه فيه معايير بتحكم وفيه سقف للوحش واللي مش وحش.

عمر طاهر: من التجارب الناجحة والمهمة في مجال النشر في مصر تجربة الناشرة «كرم يوسف» البنوتة اللي قررت من 12 سنة إنها تستقيل من الشركة العالمية اللي بتشتغل فيها من منصب مهم براتب مهم وتفتح مكتبة «الكتب خان» في المعادي، بمرور الوقت انتقلت التجربة من مجرد بيع الكتب لإنتاجها لنشرها. لكن كرم صاحبة طريقة مميزة في إدارة شغلها، قايمة على الورش الأدبية واكتشاف الكُتاب الجدد وتبني التجارب الأدبية المميزة اللي مش أي حد يعرف يتحمس ليها، نتيجة ده هتلاقي عدد كبير من إصداراتها كناشرة حصل على جوائز أدبية محلية

وعربية. لكن في نفس الوقت برضه هي تجربة مش سهلة. روحت لكرم يوسف المعادي وطلبت منها تحكيلي قصتها كناشرة من أول خطوة ليها.

كرم يوسف: النشر أنا كنت مأجلاه شوية على اعتبار إن أنا لسه مغيرة الكارير تمامًا وداخلة على حاجة مدفوعة عليها بشغف، بحب، حاجة مش عارفاها خالص، فكنت مأجلاها لأني ماعرفهاش. الكتب أعرفها، لكن النشر ماكانش واضح، وبعدين عقلي متصور إنها صناعة وحاجات كده يعني. وكمان كنت حابة إني أنشر بطريقة مختلفة، اللي هي من خلال اكتشاف كُتاب شباب وقت ما كنت بقول وقتها، وإن إحنا نطلعهم من خلال ورش الكتابة الإبداعية اللي بدأتها الكتب خان من زمان من وقت ما كانت موجودة من 12 سنة ولغاية دلوقتي بشكل كبير، وأنا فخورة إن إحنا كان لينا سبق في ده. فكان الهدف إن إحنا أجلنا النشر عشان نشتغل بطريقة معينة في اكتشاف كُتاب من خلال ورش الكتابة الإبداعية اللي إحنا بنعملها فننشر للكاتب. وعلى الجانب التقني أنا ماكانش عندي أي فكرة، زي إنه برضه ماكانش عندي فكرة من فين أجيب الكتب، مين اللي أروحلهم، وللأسف مافيش معلومات ولا قاعدة معرفية ولا حاجة تساعدك. يعني مثلًا إيه اللي أنا عملته؟ روحت لمكتبة عندي في البيت طلعت كل الكتب اللي عندي وبصيت، مثلًا مكتبة الشروق فين عنوانها وأكتب وأكلمهم، الجامعة الأمريكية أكلمهم، مثلًا شرقيات، بروح العنوان بكلمهم في التليفون، طبعًا مافيش إيميل مافيش حاجة زي كده. طبعًا أنا بدأت من تحت الصفر ودفعت تمن ده، للأسف ماكانش فيه نقطة تقدر تبدأ منها، ألاقي فين مطبعة؟ ألاقي فين ورق؟ أنا اكتشفت إني عرفت البلد بطريقة تانية في الـ 12 سنة اللي فاتوا دول.

عمر طاهر: أنواع الكتب اللي بتختارها كرم يوسف بدقة شديدة جدًّا خلاني عايز أسألها عن المعايير اللي المفروض يختارها الناشر عند اختياره للكتب عشان ينشرها، وكمان المعايير اللي المفروض يستخدمها الناشر علشان يرفض أي كتاب؟

كرم يوسف: إحنا عندنا مش كتير قوي، إحنا بنتكلم في 120 كتاب. أنا عارفة إن فيه دور نشر بيعملوا 120 كتاب في السنة ودور بيعملوا 50 كتاب في الشهر. لكن بمنتهى الأمانة وبضمير مستريح تمامًا، إن ٪90 منهم كتب كويسة.

عمر طاهر: بعد 120 كتاب، دلوقتي بتدوري على إيه في الكتاب اللي بتتحمسي لنشره؟

كرم يوسف: بدور إن يكون فيه حاجة أصيلة، حاجة جديدة،حقيقي بجد يا عمر إنت لا تتخيل كم النصوص اللي بتيجي للواحد وأنا اللي بقرأ، أنا ماعنديش لجنة، لأن وقت لما استعنت بحد يقرأ معايا ذوقنا ماكانش واحد، ماينفعش تحكم على النص بطريقة أخلاقية مثلًا أو حاجة زي كده، فأنا في النهاية بدور على حاجة أصيلة وتكون مختلفة. يعني هو في الآخر الأفكار اللي بيكتب فيها الكتاب هي كام فكرة، بس إنك تتناولها إزاي وتحكيها إزاي وإن يكون صوتك، وده بيستغرق وقت من الكاتب على ما بيوصله، فإني ألاقي ده فده فعلًا همي. لاقيته خلاص، وإنه يكون اشتغل عليه بجد، وإنه لو احتاج بحث بيقرأ بيجتهد فيه، بحيث إن أنا لما أقراه يكون ليا إضافة، وكناشر يكون ليا إضافة، وقارئ لما هينزله الكتاب يبقاله إضافة، مايبقاش فيه خسارة للوقت والفلوس، لأنه الكتاب بيكلف لأنها عملية إنتاجية في الآخر، مايبقاش القارئ بعد

ما أخد الكتاب يدعي على الناشر ويدعي على الكاتب، وتكون ساهمت في زيادة سوء المشهد وتكون طلعت كتاب مش حلو مايستحقش الورق، وده اللي حاصل بشكل كبير دلوقتي.

عمر طاهر: إنتي بتقولي بيجيلك كتب كتير، وده معناه إن إنتي بترفضي كتب كتير، فأنا عايز أعرف الكتب اللي بترفضيها بيكون بناء على إيه؟

كرم يوسف: أنا بقرا لغاية أربعين صفحة، بلاقي الأحداث ماتحركتش خطوة لقدام، ماعرفتش حاجة، معظمها بيبقى انطباعات، خواطر، مش مفيدة، أنا استفدت إيه إنك أخدت قهوة ودخلت وقعدت وبصيت، وبعدين؟ أنا استفدت إيه فعلًا؟ ففعلًا محتاجين إن إحنا نقرأ كتير جدًّا قبل ما نكتب. وفعلًا فيه نصوص بتيجي، وبقابل كُتاب برضه وبقعد معاهم، هما فعلًا ماقروش كتير، أو اللي لازم يقروه مثلًا، فهيكتب إزاي؟! فالموقف بيبقى مش ظريف. غير إن فيه حاجة بقى، على ذكر الولاد اللي بتبعت نصوص، يعني فيه نصوص أنا فعلًا مابصش عليها على الإيميل ومش هكلف نفسي وأرد، ليه بقى؟ لأن بتلاقي كاتب باعتلك النص من غير ما يكتب حاجة في الإيميل، من غير ما يكتب مثلًا «صباح الخير، أنا اسمي كذا، مرفق النص، برجاء القراءة»، مفيش حاجة كده، أو مثلًا اللي يبعت ويقول أنا نصوصي هنا وهنا ويديك اللينك وإنت تدخل على الرابط عشان تقرا! إزاي! أو اللي يبعتلك من ضمن ناشرين آخرين، لا طبعًا مش هرد، ربنا يوفقك يعني! أو مثلًا يبعتلك يقولك «أستاذ كرم»! مافيش مشكلة أنا متعودة على ده يعني، لكن لما أكون كاتب وعندي نص وحريص إني أنشره، أقرا عن الناشر اللي رايح أنشر معاه، أشوف بيعملوا إيه، كرم ده مين يعني أو الكتب خان دي إيه.

فنصيحة بقى للكُتاب إنه لازم يحط النص بتاعه في فورم محترم، ودلوقتي مافيش أسهل من برامج الكمبيوتر والنت والتواصل، وتقدم نفسك: «صباح الخير، أنا اسمي كذا، مرفق نص، ردوا عليا»، دي أبسط حاجة، ده أحس إن إنت بتحترم الناشر اللي إنت بتبعتله، ودي كلها علامات بتوضحلي اللي أنا مقبلة عليه.

عمر طاهر: عندي تجاه تجربة كرم يوسف شعور خليط من الإعجاب والشفقة. الإعجاب مصدره إن اختياراتها كناشرة مش منسحقة قدام السوق، بتختار اللي مؤمنة بس بقيمته ومتنازلة تمامًا عن العناوين اللي بتتباع بسهولة، العناوين اللي بتقول عنها كرم يوسف إنها عاملة زي «التشكلتس». والشفقة مصدرها في إن اللي بتعمله ده بالبلدي مايأكلش عيش وممكن يعوق قدرتها على الاستمرار بالطريقة اللي اختارتها.

«عندك حاجة أنا بحترمها وبرضه مشفق عليكي فيها، إن إنتي اختياراتك مش اختيارات السوق، ومش اختيارات القراية السهلة الشائعة، ومش اختيارات المبيعات اللي هي على الوش، أعتقد إن إنتي كتبك من نوع الكتب اللي مابتتزارش لأنها مش كتب رصيف. بس أنا مشفق عليكي إن إنتي مصعبة الموضوع على نفسك ومركزة على اختيارات الجزء الخاص فيها بالسوق وطلبات السوق والصفقات اللي مع الجماهير عشان تقبل عليها إنتي مش عاملة حسابها. إنتي مركزة في إنه أختار نص عمره طويل يبيع نسخة كل شهر بس يفضل يعمل كده لمدة 25 سنة. أنا بحترم ده فيكي بس مشفق عليكي.»

كرم يوسف: يُفضل كمان 100 و200 سنة، وأنا كمان مشفقة على نفسي. بص يا عمر هو ده بيرجع، زي ما قولت إنتي سبتي وغيرتي كارير

وعملتي الكتب خان، ما أنا كان عندي الاختيار، أنا مختارة ده، يعني بجد أنا عارفة إن ممكن القارئ بتاعي مش كتير قوي دلوقتي، بس أنا برضه عندي قارئ برضه رغم كل ده، فعلًا أنا عندي قارئ وبيشتري الكتاب ومش موجود في مصر بس موجود برضه في دول تانية، وبحسها، وأنا لما بشوفهم ده اللي بيخليني أكمل. يعني الفلوس مهمة جدًّا وخصوصًا في اللي إحنا فيه دلوقتي، لكن خليني أكلمك إن أنا بائعة كتب وناشرة،أنا فيه جزء عندي مكتبة وبيبع فيها كتب وبرضه ناشرة، أنا لما عملت الكتب خان المكتبة وبعدين بدأت النشر، كان بيع الكتب عندي، والكتاب الأجنبي على وجه الدقة، بيساعدني إن أنا أنشر، وبيساعدني إن أنا أتيح العربية موجودة في المكتبة زي الكتاب الأجنبي، وكنت بستورد، لغاية قبل الثورة، فكان ده بيتيحلي إني عندي كتب فعلًا جيدة جدًّا باللغات الأجنبية وبمختلف الفروع، مابشتغلش بس على الموزعين في مصر اللي هما بيروحوا للكتب الأكثر مبيعًا و»التشكلتس» زي ما بيقولوا، فده كان بيشجعني ومستريحة إن أنا أستورد الكتب أبيعها وآخد منها هامش ربح معقول يخليني أنشر الكتب اللي أنا عايزاها. لكن للأسف إحنا من 2010 لدلوقتي إحنا ماستوردناش، مش عارفين، وشكلنا مش هنعرف؛ لأن دلوقتي بقت القوانين صعبة، إن لازم يبقى راس مال الشركة اتنين مليون جنيه مصري، وده مستحيل، وإني أحط وديعة بقية 50 ألف أو 100 ألف في البنك ماقربش منها طول مانا عايزة البطاقة الاستيرادية تشتغل، فبالتالي أنا عرفت إن أنا مش هعرف أستورد، غير كمان إن مابقاش فيه الأجانب اللي كانوا موجودين قبل الثورة. بس إحنا كان عندنا ستوك (stock) كويس من آخر شحنة كانت معمولة، بحاول إن أنا أجيب شحنات صغيرة أو حد يجيبلي من بعض الموزعين اللي بيجيبوا الكتاب

الأجنبي — من غير ذكر أسماء — فبطلب منهم حاجات معينة، لكن بتبقى اختيارات محدودة جدًّا غير اللي أنا عاوزاه، فكان عندي حرية إني أعمل ده في كتاب هامش ربحيته معقول. لكن أنا برضه عندي اختياراتي وقناعاتي إن أنا عايزة أعمل كتاب كويس، عشان كده أنا مابعملش في السنة أكتر من 20 كتاب، وأنا عارفة إن ده رقم مضحك لبعض الناشرين في بلدنا، بس في الحقيقة هتلاقي زي حالاتي كده ناشرين في ألمانيا وفي فرنسا وفي إيطاليا وأنا بقابلهم وبشوفهم، فبالتالي مابقاش عندي فكرة الخجل من إني بعمل 20 كتاب في السنة، أو إني بطبع من الطبعة 500 أو 1000 نسخة، لأن معظم الناشرين بيعملوا كده، لا ماخجلش إن أقول كده وإن الـ 1000 دي أعملها على مرتين لغاية لما تخلص. فبالتالي أتمنى إني ماضطرش إني أغير قناعاتي دي، ومافتكرش برضه. المهم طريقة الكتابة، ما إحنا ممكن نقرأ كتاب عن السفر أو رحلات أو طبيخ يكون مكتوب كويس، فأنا مش ضد ده، بس أنا هدفي إن الكتب تعيش فعلًا لـ 100 سنة و200 سنة، أنا نفسي كده وأنا عارفة إن قارئي موجود، بس مش كتير..

عمر طاهر: أنا متأكد من ده عشان كده بسألك على الطريقة اللي إنتي هتكملي بيها، يعني أنا متأكد من ده وواثق إن إنتي لو حبيتي تعملي متطلبات السوق مش هتبقي مبسوطة، مش هتستمتعي بيها، وإنتي ماضحيتيش بالاستقالة عشان تعملي الحاجات دي. لكن بسألك فعلًا بفضول إنه هل اختياراتك دي تمنها مرهق قوي، ولا قادرة تواصلي وتستمري؟ بس ده السؤال ببساطة.

عمر طاهر: تعامل كرم يوسف مع ناشرين عالميين في أوروبا

وأمريكا،خلاني أسألها إيه من أصول شغلانة الناشر ناقص عندنا في مصر، إيه اللي فايتنا من قواعد المهنة دي وإحنا مش حاسين؟

كرم يوسف: هو فيه أكتر من حاجة. أول حاجة فكرة الحقوق الملكية، دي بجد بتنرفزني جدًّا، دي مش موجودة، إحنا محتاجين نشتغل عليها، نعلم الولاد الصغيرين إن ماينفعش أروح أشتري كتاب مسروق، ماتقوليش إن أنا من حقي أقرأ وأنا فقير وماعنديش. ماتقراش! دي مشكلة المكتبة عندك في الحي، في المدرسة، الجامعة، المعهد، إنما فعلًا فكرة إن الناس ماعندهاش، مش كل الناس طبعًا عشان مابقاش بعمم، إن بعض الناس ماعندهاش وعي إن الكاتب ده المفروض يعيش من نتاج الإبداع ده، يعني المخرج والملحن والمؤلف والكاتب، المفروض إن هو بيكسب بعد كده من شغله. فبالتالي لازم نعلم الولاد في المدارس والبيت يعني إيه ملكية فكرية، ماينفعش ببساطة كده إن حد بعد ما إنت تعبت في كتاب ودفعت حقوق مثلًا للترجمة ودفعت مترجم ودفعت مراجع بقى وكل الحاجات الإنتاجية اللي إنت عملتها اللي إنت بتمر بيها دي وطلعت الكتاب، وبعدين بمنتهى البساطة واحد قال أنا هاخد الكتاب ده أزوره أو أحطه بي دي إف على النت وخلاص على كده، دي حاجة لازم التصدي ليها. وأيضًا التوزيع والمكتبات — يعني بجد دي مشكلة برضه — انتقائيين، مابياخدوش كل الكتب وبيدوروا على اللي شغال، وهما فعلًا بيفرضوا الوصاية على القارئ، لأن فيه ناس كتير من القراء بيقولوا فين ألاقيكم عند مكتبة كذا في مدينة نصر أو مصر الجديدة أو حاجة، وإحنا بنكون موديين الكتب، فبتلاقي الكتب مش موجودة أو مش معروضة، ممكن معروضة كعب أو في المخزن، ماحدش بيحطلك إنها تتعرض، فدي كلها مشاكل لإن إحنا فعلًا لازم نعرف دور المكتبة. لما

عملنا المكتبة من 12 سنة، أنا قولت للولاد لما اشتغلنا إن إحنا مفتوحين لكل الناشرين، أيوه كل الناشرين اللي عندهم كتب أيوه، ناخدها ونحطها ونعرضها، ماعنديش حد يقول قصة قصيرة أو شعر لا. يعني أنا بشكر ربنا علشان أنا عندي مكتبة عشان أبيع الكتب اللي أنا بنشرها وإلا فعلًا كان زماني بطلت، لأن فعلًا فيه بعض المكتبات بتاخد الكتب مابتحطهاش في المكتبة، مش عارفة ليه مابيحطوش الكتب بتاعتنا في المكتبات!

عمر طاهر: يمكن ده جزء ليه علاقة مثلًا بخناقة الأفكار، إن كتبك فيها أفكار ممكن الناس تشوفها جريئة عايزة ذهنية عالية؟

كرم يوسف: هي فعلًا ممكن تكون عايزة ذهنية عالية لأن مافيهاش حاجة عن اللي بيكتبه برضه أو بينشره دور نشر تانية، بس يمكن هي بتحرك العقل شوية.

عمر طاهر: طيب ما دي حاجة تخوف، مانا لو جايلي كتاب يحرك العقل طيب مانا هخبيه.

عمر طاهر: أكتر شيء بيضايقني في شكوى الناشرين من التزوير إنهم بيشتكوا من مكانهم وهما قاعدين، مافيش ناشر في مصر بيتحرك بالهمة اللي بيتحرك بيها المزور، مزور الكتب بيلف مصر مدينة مدينة، أنا شخصيًّا شفت المزورين عاملين معارض للكتب في أكتر من مكان، من بينها أماكن رسمية بالمناسبة: ساحة الجامعة، النادي، مراكز الشباب، المحافظة، يعني قادرين ياخدوا ترخيص من الدولة إنهم يعرضوا بضاعتهم اللي هي ببساطة عبارة عن مسروقات؛ في المقابل الناشرين اللي بجد مابيتحركوش، من النادر تلاقي ناشر عامل معرض

بخصم كبير في مدن بعيدة عن القاهرة أو المعارض الرسمية. السؤال بقى اللي وجهته لكرم، ليه الناشرين في مصر عندنا حركتهم تقيلة مش زي حركة المزورين؟

كرم يوسف: قبل الثورة كنت بفكر فعلًا فعليًّا إن أنا أجيب (الفان بتاع الفولكس فاجن) ونعمل عليه اللوجو بتاعنا وإن إحنا نعمل معرض متحرك، ونروح جامعة القاهرة أو مثلًا أروح بني سويف أو أروح أطفيح بلد أبويا، يعني فعلًا دي كانت الفكرة اللي كنا بنفكر فيها، لكن حصل بقى يناير، وده خلى التفكير اختلف شوية، وبقى كمان دلوقتي صعب إنك تتحرك، دلوقتي إنت لو وقفت تتصور صورة في حتة بتلاقي شوية في توتر بسبب الأحداث اللي بتحصل، المهم إن 'حنا نتواجد يعني في أماكن تانية، مش كل حاجة موجودة في القاهرة، مش كل حاجة موجودة في وسط البلد، المهندسين.

عمر طاهر: أنا عايز أقولك حاجة خطيرة جدًّا، إيه مخلي الكتاب المزور فارق عن الكتاب الأصلي، إنه بتوع الكتاب المزور بيعملوا كده. يعني أنزل المنصورة ألاقي معرض كتب كله مزور، أنزل طنطا ألاقي معرض كتب كله مضروبة، وألاقيها فين، ألاقيها مثلًا معرض في جامعة طنطا، معرض في النادي الرياضي في أسيوط، بتوع الكتاب المضروب بيعملوا ده، فده اللي بيخليهم هما فارشين ومسيطرين وبيحققوا ملايين طول الوقت، لأن الكتاب الأصلي قاعد مكانه ماحدش بيحركه. فطول الوقت شايف إن جزء من علاج الكتاب المضروب إنه يا جماعة اتحركوا انتوا زي ما الجماعة دول بيتحركوا، ما هو اللي قاعد في الأقاليم ده مش قادر يوصله الكتاب فبيلاقي الكتاب جاي لحد عنده بنص التمن، أنا

شايف إن كرم تقدر تروح بالكتاب بنص التمن برضه هناك الأصلي وماعرفش ليه ده مابيحصلش.

كرم يوسف: أنا ماعنديش مانع بس أوقات بيرتبوا معارض لكده، بس لتلاقي مثلًا بيقولك إن التأجير بتاع المكان كام ألف، إنت هتبيع كام نسخة بقى ونتكلم حسابيًّا، إنت محتاج تبيع كام نسخة من الكتاب علشان تجيب فلوس للإيجار، وتدفع للي رايح كام يوم عشان هيقعد 10 أيام وياكل ويشرب ويبيت ويقف في الجناح، ما لازم برضه نكون عمليين، ليه الأماكن دي ماتتوفرش مجانًا أو بشيء رمزي، ويبقى قدامها أنا بدي كتب فعلًا بـ 50٪ لأن إنت هنا ماحملتنيش تكلفة وأنا هجيلك. بيعملوا إن فيه معارض في أماكن ومحافظات، لكن أبص للإيجار، ومين يا جماعة اللي يقدر يعمل ده! وحقيقي بجد فيه مشكلة، القدرة الشرائية قلت جدًّا جدًّا جدًّا.

عمر طاهر: لسه كلام صديقي والروائي الكاتب «حسن عبد الموجود» عن معاناة الكاتب مع الناشر بتزن في وداني، وده اللي خلاني أسأل كرم يوسف عن وجهة نظرها في معاناة الناشر مع الكاتب، مش بس الكاتب، معاناة الناشر مع القارئ كمان. وإنتي بطبيعة شغلك بتشتغلي مع تلات جهات، الكاتب والمطبعة والقارئ أو السوق، فأنا عايز أعرف إيه المرهق في دول؟ يعني إيه المرهق في التعامل مع شخص فكرة الكاتب دي، إيه المرهق اللي فيها؟

كرم يوسف: مرهقة كل الوقت، أنا هقولك على حاجة، أنا بحترم الكاتب المبدع، ده حد بيدي جزء من روحه ومن نفسه، شايف حاجة الإنسان العادي مش شايفها، وفعلًا هو بيساهم على المدى البعيد إن

إحنا نتحرك لقدام شوية، البشرية كلها هدفها الإنسانية، فأنا لما بتعب منهم بفكر في ده، كل الوقت ده عندي في وعيي. والتعب بقي بييجي إن هما بيبقوا مستعجلين قوي إن الكتاب لازم يطلع، عايز يشوف الكتاب بيطلع، مش مهم أي حاجة عايز الكتاب يطلع، وده حقه، بس مش معقول تبقى قاعد على كتاب تلات–أربع سنين بتكتب فيه وإنت جاي للناشر إنت عايزه يطلعلك في أربع شهور ولا تلات شهور. آه ممكن تحصل، بس يعني مرة يعني، لأن النشر برضه فيه حاجة للأسف، أنا بحس شوية إن فيه نظرة تحت شوية للناشر، نظرة كده بيقللوا منه، يعني دا ناشر يعني أخد الكتب وراح طبعه في مطبعه. لا مش كده بصراحة وهي عندي مش كده، عشان كده دي ناس مش هتعامل معاها، حتى لو حصل واتعاملت معاها مرة مش هيحصل إني أتعامل معاها تاني، أنا مش مطبعة، إنت ممكن كتابك تروح تطلع رقم إيداع وتروح المطبعة وهتعملك في ثانية كل اللي إنت عايزه، لكن أنا لأ بصراحة. فبالتالي إنت اشتغلت على نصك أو كتابك الفكري أو النقدي، إديني أنا كمان وقتي كناشر إني أشتغل بشكل كويس. وأنا فعلًا وصلت للقناعة دي يمكن من قريب، فعلًا مش هعمل كتاب إلا لما أكون مبسوطة منه وأكون راضية عنه، وبعد كده لما أشوفه أكون راضية عنه مبسوطة إن أنا عملته. أما القارئ بقى فبيستسهل، مش عايزة أتكلم عن المشاكل المادية للقارئ لأن كل واحد حر في أولوياته، يعني يقرا يشتري مايشتريش، يعني برضه هنرجع لجزئية إن القارئ محتاج يعرف عن العملية الإنتاجية دي اللي بيمر بيها الكتاب لغاية ما بيوصل لعنده. وإن برضه يبص على الأعمال الأخرى، بجوار الأعمال الأكثر مبيعًا، يدي لنفسه فرصة. يعني دلوقتي مثلًا بقى فيه اتجاه إلى حد ما للقراءة السهلة البسيطة، وهي لطيفة مفيش أي مشكلة، كلنا مرينا

بيها وإحنا صغيرين وبعد كده بنتحرك خطوة لقدام، أنا شايفة إن إحنا دلوقتي في مرحلة القراءة الخفيفة، بقالنا شوية كتير.

عمر طاهر: دي مشاكل الناشرين في مصر، هي نفس مشاكل الكُتاب في مصر: الدخلاء على المهنة اللي أفسدوها، القارئ اللي بيستسهل في اختياراته وبيفضل دايمًا يروح للبنبوني، عدم وجود شفافية في أي جهة تجاه التانية، التزوير ثم التزوير ثم التزوير، عدم إدراك الدولة لمصيبة التزوير، تعاملها مع الشكوى منها باعتبارها مياصة يعني وحاجة مش مهمة، الكتب الوحشة اللي بتطرد ناس برا ملعب القراية وبتخسرنا قارئ، المكتبات اللي بتتواطأ في لعبة العرض والبيع والاهتمام بكتب على حساب كتب، والتضليل اللي بتقوم بيه بعض الكتبات من خلال قلة نزاهة البيست سيلر، من أكبر مشاكل شغلانة النشر في مصر، شغلانة النشر اللي واقفة في ضهر القوة الناعمة، القوة الناعمة اللي هي من أوضح الحاجات اللي بتمتلكها البلد، أكبر مشاكلها إنها شغلانة لا تلقى دعم من أي جهة رسمية، شغلانة قايمة على الاجتهاد الفردي، شغلانة المخلصين فيها بيحاربوا من أجل الاستمرار، واللي مالهمش فيها هما أكتر ناس عارفين ياكلوا منها عيش.

وهنا ينتهي حوار عمر طاهر مع الناشرين المصريين.

واجبات دار النشر البديهية

عزيزي القارئ صاحب التجربة الأولى، بشكل بسيط ومباشر سوف ندردش معًا ونضع أمامك بعض التفاصيل التي يجب أن تلم بها وأن تعرفها لتكون نورًا لك على الطريق للتعامل مع دور النشر بشكل عام، ولا يمكننا ترشيح أي دار نشر لك، لأن مصر بها أربعة آلاف دار نشر منها ألف ومائتا دار مسجلة في اتحاد الناشرين بشكل رسمي، وترشيح البعض هنا سوف يغضب الباقي ويضعنا في مأزق لا داعي له. إذًا دعنا نتكلم في الواجبات الأساسية لدور النشر التي لا يجب أن تتنازل عنها ككاتب.

خمسة واجبات واضحة وضوح الشمس.

أولًا: احترام عقلية وآدمية الكاتب

الكاتب في تجربته الأولى يكون في حالة قلق وتكثر الأسئلة التي يجهل تفاصيل الإجابة عنها وعلينا أن نحترم ذلك، نحترم أن الكاتب صاحب تجربة إبداعية هامة وأن كتابه الأول هو الحلم الأكبر في حياته، وعلينا احترام ذلك. ومن البداية يجب التنسيق على وسائل تواصل سريعة الرد سواء الهاتف أو الموبايل والرد بسرعة على أسئلة كل الكُتاب بشيء من التروي والصبر الشديد، وإلا فعليك كناشر عدم العمل في هذا المجال إن كنت لا تريد أو لا تستطيع فعل ذلك.

ثانيًا: احترام المواعيد

إذا كان العقد بين الناشر والكاتب يقول إن الكتاب سيرى النور خلال ثلاثة أشهر مثلًا، فيجب احترام المدة المحددة، أو كان هناك اتفاق على نشر العمل في معرض القاهرة الدولي للكتاب، فلو لم يتحقق ذلك فإن الكاتب يكره النشر والكتابة والثقافة ويكره حياته برمتها ويحدث له «بلوك مستمر»، وقد يترك عالم الكتابة ككل بسبب عدم احترام المواعيد. وفي حالة مناصفة التكاليف مع الناشر فإن المدة المعقولة ليرى الكتاب النور هي ثلاثة أشهر وما عدا ذلك عبث، ولتعلم أن الناشر «بيدور فلوسك في السوق» ولا تنخدع بنظرية المطبعة مشغولة، طالما تم الانتهاء من ملف الغلاف والداخلي للعمل فإن كتابك يجب أن يرى النور في أقل من ثلاثة أشهر. وفي حالة تحمل دار النشر تكلفة إنتاج كتابك فيجب ان تلتزم بالعقد حسب ما تم الاتفاق عليه، وتختلف المدة من دار نشر لأخرى، فقد تتعاقد مع دار نشر اليوم وتقول لك كتابك سوف يتم نشره في خطة الصيف بعد عام، هذا حقها وشأنها الخاص إن تم الاتفاق على ذلك.

ثالثًا: جودة الطباعة

اذهب بنفسك إلى رفوف البيست سيلر في أي مكتبة كبرى، ستجد جودة الطباعة موحدة، وورقًا 70 جرامًا أو 80 جرامًا، وغلافًا أربعة ألوان، ومميزات ثابتة في كل دور النشر التي تهتم باسمها وهي لا تنشغل بك ككاتب لديها ولا تفكر في توفير بعض القروش في عمل ورق 60 جرامًا أو ورق رديء فتلك دار نشر «نص كم» ولا يجب أن نحتسبها دار نشر بالأساس، لأن اللعب في جودة الكتب غير وارد في أي دار نشر

تجد كتبها في فروع المكتبات الكبرى. وإذًا فجودة الطباعة مسألة شديدة الأهمية لدى الناشر، فلا تقلق، وعليك في البداية أن تلقي نظرة فاحصة على إصدارات الدار قبل أن تتعاقد معها.

رابعًا: التوزيع

بعد غلق مكتبة «ألف» والسبعة وثلاثين فرعًا الخاصة بها لظروف خاصة بالمكتبة مع الدولة المصرية، أصبحت مسألة التوزيع أكثر صعوبة بعض الشيء. ولكن هناك العشرات من المكتبات الكبرى في مصر أمثال «الشروق» و«فكرة» و«فيرجن» و«ديوان» و«دار المعارف» و«أخبار اليوم» و«الجمهورية» و«الأهرام»، وفروع هذه المكتبات الكثيرة بجوار العشرات من المكتبات الأهلية في كل محافظات مصر، وعليك أن تلقي نظرة على الصفحة الرسمية للدار وتفحص بعناية خريطة التوزيع بها وترى كتبها أين يتم توزيعها ومن ثم تقرر هل تناسبك أم لا، خاصة وأن هناك العديد من دور النشر القوية أصبحت تقوم بالتوزيع والبيع أون لاين فقط على صفحتها الرسمية نظرًا لعدم تسديد المكتبات لمبيعات كتب تلك الدور، ومن المتعارف عليه في وسط الناشرين صعوبة الدورة الحياتية لقيمة الكتب التي تنتجها تلك الدور، ولعلك تلاحظ أن أكثر الكتب الجديدة يتم نشرها لأول مرة في معرض القاهرة للكتاب من أجل الحصول على مبيعات مباشرة من الكتاب في جناح الدار مباشرة دون المرور على المكتبات حتى لا تأخذ نسبة من المبيعات، بجوار التخوف من عدم تسديد المبيعات. وبناء على ما سبق، فعليك بدراسة خريطة التوزيع الخاصة بالدار التي تريد التعاقد معها، ورؤية صور لتلك الكتب

في تلك المكتبات على الصفحة الرسمية للدار، وليس فقط مجرد بوست على صفحة الدار.

خامسًا: التسويق والحملات الصحفية

أعتقد القليل جدًّا من دور النشر يمارس هذا الدور أو ينشغل به، وهو هام جدًّا، إذ تترك نتائج عنك في جوجل — الذاكرة التي لا تموت — ليجدها أولادك وتكون لك أثر أدبي واجتماعي راقٍ يعيش من بعدك، وتوثيقًا لنجاحاتك. ونحن نقدم تلك الحملات الصحفية للجميع وبالمجان سواء من كُتاب الدار أم لا، والمسألة ببساطة هي التواصل وكتابة خبر صحفي عن كتابك في حدود عشرة أسطر مع صورة الغلاف وترسله للناشر وهو يقوم بدوره بإرساله للصحفيين المختصين وتجدهم في العديد من المواقع الكبرى مثل «روز اليوسف» و«الجمهورية» و«أخبار اليوم» و«اليوم السابع» و«البوابة نيوز» و«الدستور»، وأنصحك بعمل تلك الحملة أكثر من مرة مع صناعة حدث للخبر الصحفي، بمعنى أكثر وضوحًا:

- خبر عن مشاركة كتابك في معرض القاهرة للكتاب.
- خبر نزول كتابك للمكتبات في البداية.
- خبر أي طبعات جديدة.
- خبر عن حفل توقيع كتابك بعد معرض القاهرة للكتاب.

وهكذا، يجب أن يكون هناك حدث ليكون هناك خبر صحفي لتغطيته.

جدير بالذكر أن ما تم ذكره هو واجبات الدار، في حين الواجب الوحيد على الكاتب أن يهتم بمولوده الأول ويرعاه حتى يكبر خاصة في عامه الأول. كلنا نعرف أن الخطوة الأولى للطفل هي الأصعب وبعد ذلك يقع ثم يقف ثم يهرول بسعادة وقوة وبشكل فردي تمامًا.

ونحن هنا نقدم النصح والمشورة في بداية مشوارك الأول فقط وندرك أنك سوف تستطيع الهرولة والجري بقوة وبمفردك إن شاء الله.

والآن سنأتي لبعض مفردات صناعة الكتاب بشكل مبسط لنساعدك، ومن بعدها سوف نكتب لك بعض الأسئلة البسيطة وإجابات عامة عنها لمزيد من الضوء على كل المسائل ذات العلاقة بصناعة الكتاب بشكل عام.

خطوات صناعة الكتاب لأصحاب التجربة الأولى

1 – ملف وورد فيه عملك الأدبي (الحد الأدني لعدد الكلمات هو 18 ألف كلمة إن كان مجموعة قصصية أو رواية، وفي حالة الشعر لا تُحسب المسألة بعدد الكلمات). يمكن بدء صناعة كتاب في حدود مائة وثلاثين صفحة ويمكن الشروع في باقي تفاصيل الكتاب حينها.

2 – المراجعة اللغوية حق أصيل على دار النشر ويجب أن تحصل على ملف العمل بعد المراجعة اللغوية في شكل ملف وورد والاحتفاظ به لتنشر فيما بعد بعض النصوص منه على صفحتك الشخصية على فيسبوك وغيره.

3 – الحصول على رقم إيداع وترقيم دولي للكتاب وذلك من الهيئة العامة للكتاب لحفظ الحقوق الفكرية للكتاب، وهذه مهمة دار النشر بعد التعاقد، ويمكنك الحصول على رقم الإيداع بنفسك قبل إرسال العمل لدار النشر إن رغبت في ذلك.

4 – ملف الداخلي وهو ملف الطباعة للعمل، هذا الملف هو ملف الكتاب منسق وجاهز للطباعة، وهو مسؤولية الكاتب ويجب أن يراجعه بشكل مفصل ويرسل ملف التعديلات إلى الدار بأي أخطاء، ويجب معالجة تلك الأخطاء في مرة أو أكثر حتى ترى أن العمل جاهز للطباعة وليس به أي أخطاء.

5 – ملف الغلاف، يجب أن تقوم ببحث على جوجل باسم عملك المقترح وترى أهناك تشابه مع أي كتب أخرى في السوق أم لا، ومن ثم تراسل مصمم أغلفة الدار التي تعاقدت معها وترسل له اسمك الأدبي الثنائي أو الثلاثي حسب رغبتك، واسم عملك الأدبي، وملف عملك الأدبي الوورد، وملف مختصر للعمل، ورؤيتك للغلاف، وقصة العمل، ونص مراجع لغويًّا يوضع في ظهر الغلاف، وصورة لك مع سيرة ذاتية مختصرة إن رغبت في نشر صورتك في ظهر الغلاف.

وكن صبورًا مع مصمم الأغلفة، لأن هذا المجال شديد الصعوبة ومصممي الأغلفة يعانون من أمزجة مختلفة ومنوعة لدى العشرات من الكُتاب والتعامل المشترك غالبًا يتسم بالصعوبة بعض الشيء، فكن صبورًا جدًّا مع المصمم حتى يخرج غلافك على النحو الذي تريده.

وبعد الانتهاء من تصميم غلافك بشكل نهائي وملف الطباعة بشكل نهائي تراسل الدار بذلك، والطبيعي أن ترى عملك بين يديك الكريمة خلال ثلاثة أشهر كحد أقصى، وما عدا ذلك نوع من التقصير في حقك من طرف دار النشر. وتأتي بعد ذلك مسألة التوزيع، وهي حق مكفول للدار فلا تتدخل فيه وانتظر خريطة التوزيع، ومن ثم ابحث بنفسك عن كتابك في المكتبات المذكورة وقم بتصويره، ومن ثم قم بنشر خريطة التوزيع على صفحتك مرفقًا بها تلك الصور من المكتبات، وتابع بعملية تسويق نشيطة لكتابك في أول شهرين بشكل ضخم لمزيد من توثيق نجاحك والاستمتاع بالحلم الكبير.

ونأمل أن يكون هذا الكتاب قد ساهم ولو بنسبة صغيرة في صناعة الوعي بكيفية تحقيق هذا الحلم العظيم والكبير في حياة كل كاتب في

بداية مشواره الأدبي، ونأمل أن تتذكرنا بكلمة أو دعوة طيبة حينها، فهذا ما نبغي الوصول إليه، وثق أن الأحلام لا تجيد التأجيل مع أصحاب العزائم والهمم، وثق أنك إن عزمت فستجد السبيل.

وفي النهاية، ودون أي بلوك نفسي ممكن أن يحدث بسبب النشر، ثق أن في مصر آلاف دور النشر ومنها أكثر من 1200 دار نشر في اتحاد الناشرين المصريين، والمجال واسع للغاية وفرص النشر عظيمة وواعدة، فلا تقلق. اكتب، والباقي سهل ويسير بعون الله. ولا نستطيع هنا ترشيح لكم العديد من دور النشر حتى لا تكون هناك حساسية من الدور الأخرى، ولكن عبر الخاص والتواصل معي بصفة شخصية قد أستطيع ترشيح لك العشرات من دور النشر التي لا تهتم سوى بملف عملك الإبداعي دون معرفة شخصيتك أو تفاصيل عن مجال عملك، والمعيار الوحيد هو جودة قلمك وكفى. وهذا لا يعيب دور النشر الأخرى التي تطلب عدة معلومات عنك وترى صفحتك على فيسبوك ومجال عملك وغيرها؛ لأن العلاقة بين الكاتب والناشر تستمر عامًا وعامين وثلاثة، وبعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي الناشرون أصبحوا أكثر حذرًا في التعامل وانتقاء الكُتاب، بخلاف أن المواقف السياسية للكُتاب أحيانًا قد تكون سببًا في المساس باسم الدار. فالمسألة لم تعد فقط عملًا ونشرًا، بل أصبحت علاقة مترامية الأطراف ولها أبعاد أخرى. ودعني أهمس في أذنك همسة قد تسبب لنا بعض المشاكل ولكنها نصيحة شخصية:

النشر نوعان: على حساب الدار، وعادة نسبتك تكون عشرة بالمائة أو خمس عشرة بالمائة لو كاتب ناجح، والحساب كل عام عادة. ولو كاتب صاحب تجربة أولى ونشرت بنظام المناصفة بالتكاليف فثق أنك تحملت

كل تكلفة الطباعة وأن المناصفة التي تتحدث عنها الدار هي التوزيع وحجز أرض المعرض ورواتب العاملين وغيرها، ولكن الدار لم تدفع جنيهًا مقابل الجنيه الذي قمت بدفعه عند إنتاج الكتاب.

وفي هذه الحالة من العبث ان تجد في العقد الخاص بك المناصفة في الحصول على أي جوائز قد تفوز بها، أو أن تكون مدة العقد خمس سنوات وغيرها، والحساب بعد انتهاء العقد. المنطقي والوسطي العقد عامان أو ثلاثة على الأكثر، والحساب في نهاية كل عام. فكن حذرًا من عقود بعض دور النشر التي تكون ضد المنطق والعدل. وفي النهاية يبقى العقد شريعة المتعاقدين.

وثق أن هذا الكتاب وتلك المعلومات الغزيرة سوف تبتسم منها حينما يكبر قلمك وتفهم كل شيء ببساطة وترحل بعيدًا عن الخطوة الأولى وتحلق في سماء النجاح، كل المسألة يلزم فقط أن تأخذ نفسك على محمل الجد وألا تنشغل بالجزر الثقافية العدائية الموجودة والمعارك التافهة، اختر مجتمعًا ثقافيًّا يروق لك وتروق له واكتب، واصنع محيطك الاجتماعي الداعم لك، واستمر، وطور من أدواتك، وثق تمامًا أن النجاح قادم لا محالة. ودعني أرشح لك بعض الصفحات للاستفادة من الوقت الضخم المهدر على وسائل التواصل الاجتماعي، لعل وعسى نستطيع إعادة استخدام أوقاتنا بشكل صحيح نحو تطوير «الدماغ» وتطوير مهاراتنا في الكتابة.

وهناك جزء ثانٍ عزيزي القارئ في الطريق إليك بشكل مختلف تمامًا عن هذا الكتاب الذي أعتبره تمهيدًا مدفعيًّا للمعركة وأرضية لمزيد من الحوار فيما بيننا، ويشرفني تلقي آرائكم ومقترحاتكم لتقديم جزء ثانٍ،

مع العلم أننا حاولنا بقدر المستطاع تقديم حوار متوسط دون «كلكعة» حتى لا يصاب المتلقي بأي نوع من البلوك أو التخوف من الوسط الثقافي، فكل غايتنا هي أن ترى النور وأنت ما زلت في بداية الطريق.

للتواصل الشخصي مع الكاتب لمزيد من النقاش والاقتراحات:

الإيميل الخاص بنا: Layanpub@gmail.com

شكر واجب

إلى نقطة النور المسماة بمبادرة المعتكف الكتابي، أتوجه بشكر شديد الخصوصية للأسباب التالية:

المعتكف الكتابي أعاد لي فكرة «حب الكتابة والثقافة بشكل خاص» بعدما تناسيت تلك الفكرة وتعاملت معها بشكل خشن نتيجة سوء سلوكيات المنتسبين للوسط الثقافي في مصر.

المعتكف الكتابي أعاد لي الوقوف أمام القراء وأصحاب التجارب الأولى كمحاضر وواحد منهم، وأعاد لي ذكريات الوقوف أمام آلاف القراء في مبادرة «الكتب بالمجان» التي قمت بها 3 مرات في الأعوام الماضية.

المعتكف الكتابي أعاد لي فكرة البداية الصحيحة بكتاب بسيط في هيئة محاضرة طويلة لأصحاب التجارب الأولى، يلحقه العديد من الأجزاء حسب تطور الأحداث لتقديم مزيد من الدعم وشيء من النور لأصحاب الشغف في مجال الكتابة والقراءة.

المعتكف الكتابي، بعد ثلاث سنوات من العطاء، وتقديم مائة وخمسين كاتبًا وكاتبة للوسط الثقافي، وثلاثين إصدارًا أدبيًّا، وأربعة كتب جماعية لكُتاب المعتكف، وتغيير حياة الكثيرين للأفضل؛ فهو ليس منصة نشر، ولن يكون، بل مبادرة ثقافية وإنسانية داعمة لتغيير حياتك للأفضل.

المعتكف الكتابي نجح في الرجوع بي عشرين عامًا عندما قررت أن يكون لي كتابي الخاص قبل أن أبلغ الواحد والعشرين من عمري، وهأنذا اليوم بعد عقدين من الزمان أتخلى عن كتبي القديمة التي صدرت حينها بتقديم كبار الكتاب والسياسيين في مصر، ها أنا الآن اليوم أبدأ من أول السطر في محاولتي الأولى، التي أراها ليست الأقوى ولكن أراها الأهم لي، لأعيد حساباتي وأهتم أكثر بما أحبه وأعشقه، ألا وهو القراءة والكتابة معًا.

شكرًا للمعتكف الكتابي، وشكرًا لصاحبة المبادرة الروائية «هدى أنور».

وشكرًا لكل الأصدقاء والأحبة داخل المعتكف وخارجه في الوسط الثقافي بشكل عام.

ترشيحات «وفق رؤية شخصية» قد تفيدك

- كتاب اللغز خلف السطور، د. أحمد خالد توفيق، دار الشروق
- كتاب شغف القراءة، إيهاب الملاح، دار الشروق
- كتاب الحكاية وما فيها، محمد عبد النبي، مؤسسة هنداوي
- كتاب لماذا نقرأ؟ لنخبة من المفكرين، دار المعارف
- الصفحة الرسمية لمبادرة «اكتب صح» على فيسبوك
- الصفحة الرسمية «كبسولات لغوية» على فيسبوك
- الصفحة الرسمية لمبادرة «صحح لغتك» على فيسبوك
- الصفحة الرسمية لمبادرة «المعتكف الكتابي» على فيسبوك
- الصفحة الرسمية لدار «الكتب خان» على فيسبوك
- حلقات برنامج «وصفوا لي الصبر» على قناة يوتيوب
- حساب الكاتب حسام مصطفي إبراهيم على فيسبوك
- حساب الكاتب تامر عبده أمين على فيسبوك
- حساب الكاتب محمود موسي على فيسبوك
- حساب الكاتب محمود عبد الشكور على فيسبوك
- حساب الكاتب محمد عبد النبي على فيسبوك

- حساب الكاتب محمد الجيزواي
- حساب الكاتب أيمن العتوم
- جروب «عصير الكتب» على فيسبوك
- موقع عصير الكتب
- موقع مؤسسة هندواي
- موقع الشروق لشراء الكتب